طبقات الأطباء والحكماء

تأليف

أبي داود سليمان بن حسان الأندلسي

المعروف بابن جلجل

ألفه سنة ٣٧٧ هـ

ويليه

تاريخ الأطباء والفلاسفة

تأليف

إسحاق بن حنين

المتوفى سنة ٢٩٨ هـ

تحقيق

فؤاد سيد

أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية

مؤسسة الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية
١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

مؤسسة الرسالة
للطباعة والنشر والتوزيع

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٨١٥١١٢ - ٢٤١٦٩٢ - ٢٩٥٠٠١
ص. ب (٧٤٦٠) برقياً: بيوشران ·

طَبقاتُ الأطبّاءِ والحُكماءِ

ويليه

تاريخ الأطبّاء والفلاسفة

مقدمة

هذا كتاب يعتبر وثيقة هامة فى تاريخ العلوم وتطور حركة التأليف والترجمة فى القرن الرابع الهجرى – الذى يعد بحق – العصر الذى ازدهرت فيه الحضارة الإسلامية ونمت ، وبلغت غايتها من الإنتاج الواسع فى شتى ميادين العلوم والآداب – ولعل ميزة هذا الكتاب الأولى التى جعلت له قيمة علمية خاصة ، ونصاً قديما له خطره فى تاريخ العلم ، أن مؤلفه يعتمد فيما رجع إليه من مصادر ، على تراجم عربية لأصول لاتينية تاريخية .

فقد عهدنا دائماً ، أن أكثر الكتب التى نقلها العرب أو غيرهم من المترجمين ، كانت عن أصول يونانية ، والقليل منها عن اللغات الفارسية والسريانية والهندية . وأنهم أكثروا من النقل والترجمة عن هذا الطريق . ولكننا لم نظفر – إلا قليلا جداً – بنصوص عربية ترجمت عن اللغات اللاتينية ، وربما كان كتابنا هذا أول كتاب استفاد من هذه الترجمات ، التى نرجح أنها تمت فى عصره أو قبله بقليل .

والموضوع الذى اختاره مؤلفنا هو « طبقات الأطباء والحكماء » . وهو وإن كان أول أندلسى ألف فى هذا الموضوع ، إلا أننا نجد أن غيره من المؤلفين فى المشرق الإسلامى ، قد سبقوه إلى هذا النوع من التأليف . فإن أقدم مصدر بين أيدينا الآن عرض لتراجم الأطباء ، وهو كتاب الفهرست[1] لابن النديم وقد ألفه فى حدود سنة ٣٧٧ هـ – أى فى نفس السنة التى ألف فيها ابن جلجل كتابه – لا يعد الأول من نوعه ، فقد استقى بعض معارفه فى هذا الموضوع وعلى وجه التحديد ، تراجم الأطباء

---

(١) من المظنون أن ابن النديم ألف كتابه أولاً عن : الكتب اليونانية والمترجمة ، وأسماء النقلة والمترجمين . كما يتضح ذلك من نسخة مخطوطة من هذا الكتاب محفوظة بمكتبة كوبريلي باستانبول رقم ١١٣٥ كتبت سنة ٦٠٠ هـ . وهى نسخة قائمة بذاتها وتحتوى على أربع مقالات فقط . وهذه المقالات تطابق المقالات السابعة إلى العاشرة من الكتاب . ولعل ابن النديم كان كتابه فى الاصل على هذه المقالات ثم جعل كتابه شاملاً لكل الفنون فأضاف إليه المقالات الست الأولى . وصار بذلك فى عشر مقالات .

[راجع ص ١٣٢ و ١٥٧ من فرح المهموم فى تاريخ علماء النجوم لابن طاوس طبع النجف سنة ١٣٦٨ ففيه فوائد ربما تؤيد هذا الرأي] .

قبل الإسلام ، من كتاب : « تاريخ الأطباء والحكماء » لإسحاق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨ هـ .

ولا شك ، أن إسحاق يعد أول مؤرخ فى الإسلام ، أفرد كتاباً خاصاً لتراجم الأطباء والحكماء . وإن كنا لا نغفل عما ورد فى كتب بعض المؤرخين ممن عاصره أو كان قبله بقليل ، من إشارات أو تراجم لبعض الأطباء والحكماء ضمن مؤلفاتهم ، من غير أن يفردوها بتأليف خاص ، كما ورد عند اليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ . من فصول تاريخية لبعض الأطباء اليونان والرومان فى العصور التى قبل الإسلام . وكما صنع حنين بن إسحاق المتوفى سنة ٢٦٠ هـ فى كتابه « نوادر الفلاسفة » الذى لا يحق لنا أن نعتبره أكثر من بعض الأقوال والحكايات المنسوبة إلى الأطباء والفلاسفة ، فى صورة نوادر وأقاصيص[١] ، ولا يعد بحال من الأحوال مرجعاً تاريخياً بالمعنى الصحيح فى هذا الموضوع .

ومن المؤكد أن إسحاق بن حنين اعتمد فى كتابه [٢] على أصل يونانى لمؤلف مشهور هو « يحيى النحوى (يوحنا فيلوبونوس جراماتيكوس) » الذى عاش فى الاسكندرية فى النصف الأول من القرن السادس الميلادى ، وقام بكثير من الشروح والتفاسير لمؤلفات أرسطو . وبتأليف بعض الكتب فى الدفاع عن الدين المسيحى ضد الوثنيــة .

---

(١) التراث اليونانى فى الحضارة الاسلامية ص ٣٩

(٢) من هذا الكتاب نسخة كتبت فى القرن التاسع الهجرى وهى ضمن مجموعة رقم ٦٩١ بمكتبة حكيم اوغلو على باشا باستانبول . وقد حصلت على صورة منها بالفوتوستات سنة ١٩٤٨ ورأيت لأهميتها وندرتها ، تحقيقها ونشرها فى ذيل هذا الكتاب ، باعتبـارها أول مؤلف فى تاريخ الأطباء والحكماء فى المشرق الإسلامى . وباعتبار أن كتاب ابن جلجل ، أول مؤلف فى هــذا الموضوع فى المغرب الإسلامى . وبعد أن جمعت حروفها فى المطبعة فعلا ، اطلعت فى مجلة أوريانس *Oriens* الجزء السابع (١٩٥٤) على نشرة لهــذا الكتاب مع ترجمة بالإنجليزية بتحقيق الأستاذ روزنتال ، فعدلت عن نشره : مكتفياً بهــذه الطبعة العلمية المحققة التى أخرجها الأستاذ روزنتال وقابلها على نص آخر لهذا الكتاب ورد فى ثنايا كتاب « منتخب صوان الحكمة للسجزى » . ومنه نسخة خطية بمكتبة كوپريلى ، وأخرى بمكتبــة مرادملا . وعلى نصوص أخرى متفرقة من هذا الكتاب وردت عند ابن النديم وابن أبى أصيبعة والقفطى . ويهمنى أن أشير هنا إلى نص آخر لهذا الكتاب ، لم يقف عليه الأستاذ روزنتال ؛ ورد فى كتاب « نزهة الأرواح وروضة الأفراح للشهرزورى » . من ورقة ٢٠٢ — ٢٠٦ فى نسخة راغب باستانبول رقم ٩٩٠ .

ومن الغريب ، أن إسحاق وهو يذكر فى كتابه أنه يؤرخ للأطباء والحكماء من بدء ظهور الطب إلى سنة ٢٩٠ هـ ، فإنه لم يزد شيئاً عما نقله من كلام يحيي النحوى سوى ذكره له فى آخر من ذكرهم من المترجمين عند يحيى ، رغم أنه قد عاش فى هذه القرون الثلاثة الأولى للإسلام بعض الأطباء النابهين الذين تركوا لنا مصنفات هامة . مثل : أهرن القس ، ويوحنا بن ماسويه ، وقسطا بن لوقا البعلبكى ، وبعض آل بختيشوع ، وغيرهم . حتى أنه لم يذكر والده « حنينا » الذى ترجم له مؤرخو الأطباء بعد ذلك .

أما أهمية كتابنا هذا ، التى أشرنا إليها من اعتماده على تراجم عربية لأصول لاتينية ، فإنه من المؤكد أن ابن جلجل لم يطلع على المؤلفات التى كانت بين يدى المؤرخين فى تاريخ الأطباء فى المشرق الإسلامى ، والتى ذكرنا أن مصادرها كانت يونانية . لأنا نرى ، أنه حتى عصر ابن جلجل ، لم تكن مثل هذه المؤلفات قد انتقلت إلى الأندلس أو عرفت هناك إلا قليلا ، وخصوصاً الكتب التى ترجمت للأطباء . فلم يكن معروفاً لدى العلماء منها عصرئذ ، إلا الفهرست لابن النديم الذى كان معاصراً لابن جلجل كما ذكرت ولم يطلع عليه . خاصة وأن المعارف والمعلومات عن أصحاب التراجم عند ابن النديم وابن جلجل ، شديدة التباين والاختلاف ، سواء فى تراجم الأقدمين ممن كانوا قبل الإسلام ونقلوا أخبارهم من الكتب القديمة ، أو ممن عاشوا فى الإسلام وقاما هما بوضع تراجمهم .

فكان والأمر كذلك ، أن يعتمد ابن جلجل فى جمع معلوماته على ما بين أيديهم فى الأندلس من الكتب التى عرضت لهذا الموضوع . واللغة الأصلية لأهل هذه البلاد هى اللغة اللاتينية ، وعنها ترجمت بعض المؤلفات التاريخية إلى العربية فى القرن الرابع الذى عاش فيه ابن جلجل . وإن أهمها وهو كتاب « باولوس أوروسيوس » الذى يذكره دائماً ابن جلجل باسم « هروشيوش » . وكتاب « الحشائش لديسقوريدس » ترجما فى عصره ، وقد أسهم بنفسه فى هذه الخدمة العلمية ، كما يتضح من مقدمته للتفسير الذى صنفه لكتاب الحشائش المذكور[1] من أنه أدرك نقولا الراهب ، الذى قام فى صدر دولة الحكم المستنصر ، بترجمة كتاب ديسقوريدس من اليونانية إلى

---

[1] راجع الكلام على هذا الكتاب فى ص يح من المقدمة .

اللاتينية ، وصحبه مع غيره من العلماء والأطباء ، وقاموا بتصحيح أسماء العقاقير المذكورة فى هذا الكتاب ، إلا القليل الذى لا بال به ولا خطر له .

ثم إن ما نعلمه عن انتشار الكتب المشرقية فى الأندلس – وخاصة كتب الطب والعلوم – لم يعرف إلا فى عصر عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ – ٣٥٠ هـ) أو قبله بقليل . وفى ذلك يقول ابن جلجل فى هذا الكتاب (ص ٩٧) :

« ثم ظهرت دولة الناصر لدين الله عبد الرحمن بن محمد ، فتتابعت الخيرات فى أيامه ، ودخلت الكتب الطبية من المشرق ، وجميع العلوم ، وقامت الهمم ، وظهر الناس ممن كان فى صدر دولته من الأطباء المشهورين » .

وخلفه ابنه الحكم المستنصر (٣٥٠ – ٣٦٦ هـ) وكان له الفضل الكبير فى نشاط الحركة الثقافية فى الأندلس واستجلاب المؤلفات والكتب من المشرق . فقد كان : « مشغوفاً بالعلوم حريصاً على اقتناء دواوينها يبعث فيها إلى الأقطار والبلدان ، ويبذل فى أعلاقها ودفاترها أنفس الأثمان ، ونفق ذلك لديه . فحملت من كل جهة إليه ، حتى غصت بها بيوته ، وضاقت عنها خزائنه . . . . . وكان له وراقون بأقطار البلاد ينتخبون له غرائب التواليف ، ورجال يوجههم إلى الآفاق للبحث عنها »[1] .

وقد غدت قرطبة فى عهده أكبر منار للتعليم فى العالم الإسلامى ، وبلغت مكتبة قرطبة فى عصره على ما قيل ، نحواً من ٤٠٠ ألف مجلد ، وكان من نتائج هذه النهضة العلمية ، أن دخل الأندلس كثير من مؤلفات المشارقة .

ولا شك أن من الدلائل التى تؤكد دخول كتب العلوم إلى الأندلس فى عصر متقدم ، أن كتاب الحشائش[2] لديسقوريدوس ، بترجمة اصطفن بن بسيل وإصلاح حنين بن اسحاق (المتوفى سنة ٢٦٠ هـ) . كان معروفاً عند الأندلسيين إلى عصر عبد الرحمن الناصر (أى فى سنة ٣٣٧ هـ) وهى السنة التى يذكر ابن جلجل فى مقدمة كتابه « تفسير أسماء الأدوية المفردة » أن كتاب الحشائش فى أصله اليونانى دخل فيها الأندلس (ابن أبى أصيبعة ج ١ ص ٤٦ – ٤٨) ، وإذا علمنا أن حنينا

---

(١) الحلة السيراء ص ١٠١ — (٢) فى نسخة الحشائش الموجودة بأياصوفيا : أنه بترجمة اصطفن وإصلاح حنين .

توفى سنة ٢٦٠ ه وأن عبد الرحمن الناصر تولى الحكم سنة ٣٠٠ ه أدركنا أن هذا الكتاب دخل الأندلس قبل عصر الناصر بسنوات قليلة ، أو فى عصره بالذات . لأن إشارة ابن جلجل تفيد أنه كان معروفاً إلى سنة ٣٣٧ ه عندما ورد هذا الكتاب باللغة اليونانية هدية من ملك القسطنطينية إلى عبد الرحمن .

ومن الكتب التى عرفت أيضاً فى الأندلس فى هذا العصر المتقدم ، كتاب « الأدوار والألوف لأبى معشر البلخى المتوفى سنة ٢٧٢ ه » . فهو من المصادر التى اعتمد عليها ابن جلجل ونقل عنها واستفاد منها .

وقد ذكر ابن جلجل (١) أنه لم يكن فى الأندلس لغاية عهد أميرها عبد الرحمن ابن الحكم (٢٠٧ — ٢٣٨ ه) إلا أطباء نصارى ، يعتمدون فى علمهم ودراستهم على «كتاب مترجم من كتب النصارى ، يقال له الابريسم ، ومعناه المجموع أو الجامع » . وأرجح أنه يعنى بذلك كتاب « الفصول لأبقراط » الذى يسمى باليونانية Ἀφορισμοι ، ويقابلها باللاتينية Aphorismi . وتنطق بالعربية « أفوريسم » . وهذا يعرفنا أن هذا الكتاب الذى ترجم فى المشرق ، من اليونانية إلى العربية ، باسم : « الفصول » وهو تعريب الاسم اليونانى ، ترجم أيضاً فى الأندلس من اليونانية ، إلى اللاتينية ، وعرفه العرب بعد ذلك باسمه اللاتينى فى صورة عربية ، وهى « الإبريشم » واستبدال الشين بالسين عند الأندلسيين معروف لمطابقته لنطقهم بهذا الحرف . وهذا التعريب يشابه ما ذكره ابن جلجل عن كتاب يرونم الترجمان واسمه باليونانية « خرونيقون » وترجم إلى العربية باسم « القروانقة » وهذا يدل أيضاً على محافظتهم على الاسم الأصلى للكتاب باليونانية فى صيغة عربية .

ثم يذكر ابن جلجل أيضاً ، أن فى عهد الأمير محمد بن عبد الرحمن (٢٢٨ — ٢٧٣ ه) والأمير عبد الله بن محمد (٢٧٥ — ٣٠٠ ه) . برع بعض الأطباء ، ولكن لم تعرف لهم مؤلفات . أما فى عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ — ٣٥٠ ه) فظهر بعض الأطباء ، الذين بدأوا بتأليف الكتب ، ومنهم « يحيى بن اسحاق الطبيب » الذى ألف كناشاً فى الطب ، سماه هو الآخر « الابريسم » فى خمسة أسفار (٢) . وهو أول تأليف ذكره ابن جلجل لأطباء الأندلس . وهذا يؤكد

---

(١) ص ٩٢ من هذا الكتاب . — (٢) صفحة ١٠١ من هذا الكتاب .

قوله بدخول الكتب الطبية من المشرق فى هذا العصر ، واستفادة العلماء منها ، فان ابن جلجل نفسه ينقل فى كتابه هذا ، أقوالا من كتب بقراط وجالينوس وغيرهما . ومن المرجح أنه ينقل عن الترجمات العربية التى وصلت إليه من المشرق .

والآن بعد هذه النبذة ، نقدم ابن جلجل وكتابه إلى القراء .

ترجمة ابن جلجل

هو أبو داود سليمان بن حسان ، ويعرف بابن جلجل . هكذا ورد اسمه فى جميع المصادر التى ترجمت له ، ولم تقدم لنا من أسماء آبائه وأجداده أكثر من هذا القدر . حتى أن بعض الكتب ترجمت لشقيقه « محمد بن حسان المعروف بابن جلجل » أيضاً ، ولم تزد شيئاً عن اسمه واسم أبيه . وهذه الشهرة التى عرف بها ، لم أجد أحداً تسمى بها ، أو نسب إليها ، من رجال الأندلس أو المشرق ، على كثرة ما رجعت إليه من مصادر . واعتقادى أن هذا الإسم رغم أن له معنى فى العربية وهو « الجرس » هو اسم لاتينى (اسبانى) لأحد أجداده ، فى صورة عربية ، ومعنى هذا أن مؤلفنا يحتمل أن يكون من المسلمين الذين دخل أجدادهم فى الإسلام بعد فتح الأندلس .

وقد اصطلحت كتب التراجم الأندلسية على أن تترجم لكثير من العلماء بأسمائهم العربية ، ثم تقول « ويعرف بابن فلان . . . . » . وبتقصى تراجم بعض هؤلاء ، نرى أن الأسماء التى يعرفون بها أسماء إسبانية ، مثل : « ابن بشكوال ، وابن غرسية ، وابن فيره ، وابن البغونش ، وابن قطيل ، وابن قوشره ، وابن فورتش ، وابن غوتيل ، وابن بشتغير ، وابن مرتنيل ، وابن سيده ، وابن قزمان » وهذه الأسماء لا شك ليست عربية ، وبعضها معروف أصله اللاتينى . كاسم غرسيه Garcia . وبشكوال Pascual وفيره Ferro وفورتش Fortes والقوطية Gothica . . . . الخ .

ومن الدلائل على أن من عرف آباؤهم أو أجدادهم بأسماء لاتينية ، أنهم من أصل إسبانى ، أننا نرى الكتب التى ترجمت لهم ، لا تعطينا أكثر من اسمين أو ثلاثة أسماء عربية فى سلسلة أسمائهم ، مع أن بعضهم من رجال القرن الرابع أو الخامس ، فى حين أننا نجد فى تراجم العلماء الذين من أصل عربى سلسلة

من الأسماء العربية قد تصل إلى الستة أو السبعة وقد تزيد ، وهذا لعناية العرب المشهورة بالأنساب والأحساب .

وجميع المصادر التى ترجمت لابن جلجل ، لا تقدم لنا إلا نبذاً يسيرة عن حياته ودراسته وشيوخه ، بل إن جميعها لا تعطينا تاريخاً لميلاده أو وفاته — عدا تكملة ابن الأبار[1] — الذى قدم لنا أهم ترجمة عرفناها عن ابن جلجل ، تضمنت حياته الدراسية وأسماء شيوخه وتلاميذه وتاريخ مولده « فقط » . وسنعود إلى الحديث عن هذه الترجمة فيما بعد عند الكلام على ترجمة ابن جلجل لنفسه .

ورغم أن الترجمة التى عند ابن أبى أصيبعة عن حياة ابن جلجل ترجمة موجزة . إلا أنه احتفظ لنا فيها بنص هام — نقله من مقدمة ابن جلجل لتفسيره على كتاب الحشائش لديسقوريدوس — يلقى ضوءاً قوياً على ناحية من نواحى ثقافة ابن جلجل ، ومساهمته فى حركة الترجمة إلى العربية فى ذاك العصر — وقد كان لهذا النص حظ وافر من العناية عند العلماء المعاصرين ، وخاصة ، دى ساسى ، ولوكلير . وسنقدم هذا النص كاملا عند التعريف بكتاب « أوروسيوس » كمصدر من مصادر ابن جلجل .

هل لابن جلجل ترجمة ذاتية لنفسه autobiographie ؟

يقول فى آخر كتابه ، أنه سيذكر « سيرته وتأدبه وكيف كان طلبه للعلم ، وأنه سيتوخى الصدق فيما يقول ، لما فى ذلك من تخليد الذكر وجميل النشر » . ومع ذلك انتهت النسخة التى بين أيدينا بهذه العبارة ، ولم نظفر بهذه الترجمة . فهل وعد بذلك ثم حالت بينه وبين الوفاء بهذا الوعد حوائل ؟ ! . أم أنه ترجم لنفسه فعلا وخلت نسختنا من هذه الترجمة ؟ !

إذا رجعنا إلى الكتب التى ترجمت له ، نراها لم تقدم لنا إلا أخبارا موجزة متناثرة . لا سيما صاعد وابن أبى أصيبعة والقفطى ، وكلهم رأى كتاب ابن جلجل

---

(1) وردت ترجمة ابن جلجل فى القسم الذى نشر من تكملة ابن الأبار فى مدريد سنة ١٩١٥ وقد كان مفقوداً ولم ينشر فى الأصل الذى طبع سنة ١٨٨٣ .

ونقل منه نقولا كثيرة . بل إن جميع تراجم الأطباء الأندلسيين — حتى عصر ابن جلجل — التى ذكروها فى كتبهم نقلوها عنه بالنص . وأغلب هذه التراجم لم يزيدوا عليها شيئاً أكثر مما وجدوه عنده . فهل خلت النسخ التى اعتمدوا عليها ونقلوا منها ، من هـذه الترجمة كنسختنا ؟ ! الواقع أن الأمر كذلك ، وأن النسخ التى عرفوها من كتاب ابن جلجل لم تلحق بها ترجمته الذاتية ، وإلا فإنهم كانوا قدموا لنا عنه ، ترجمة أوفى مما ورد فى كتبهم .

ولكن من المؤكد ، أن ابن جلجل قد وضع لنفسه ترجمة ألحقها بآخر كتابه ، وأن هذه الترجمة اطلع عليها « ابن الأبار » وأورد بعضها فى تكملته . فقد ذكر فيها معلومات دقيقة عن حياته ودراساته محددة بالتواريخ ، مثل تاريخ ميلاده وزمن تلقيه العلم ووقت تأليفه لطبقات الأطباء ، ثم ذكر أسماء شيوخه وتلاميذه ، ووفيات بعضهم . إلا أنه لم يذكر تاريخ وفاته . وهذا يؤكد أن هذه المعلومات منقولة من ترجمة ابن جلجل لنفسه ، لأنه من الميسور أن يذكر تاريخ ميلاده وتلقيه العلم وغير ذلك من الأحداث . ولكنه طبعاً لا يستطيع ذكر تاريخ وفاته وهو لا يزال بين الأحياء .

فخلو هذه الترجمة من تاريخ الوفاة ، وتضمنها لهذه المعلومات الدقيقة عن حياته الشخصية ، مما لم يرد فى الكتب الأخرى التى ترجمت له ، دليل قاطع على أنها من وضعه . كما يمكننا أن نضيف إلى ذلك دليلا آخر له قيمته ، هو ما ذكره ابن الأبار أيضاً فى ترجمة « محمد بن حسان » شقيق ابن جلجل الأكبر ، من معلومات ختمها بقوله : « حكى ذلك [أى أخيه سليمان بن حسـان] فى كتاب طبقات الأطباء من تأليفه » .

وطبعاً لم ترد هذه المعلومات عن شقيقه فى الكتاب نفسه ، لأن هذا الأخ لم يكن طبيباً ، بل ضمنها ترجمته لنفسه فى آخر كتابه ، وهو يتحدث عن شيوخه ، فقد كان من بينهم هذا الشقيق .

ولأهمية هذا القدر الذى نقله ابن الأبار من ترجمة ابن جلجل لنفسه ، سأورده بنصه :

« سليمان بن حسان المتطبب ، من أهل قرطبة ، يعرف بابن جلجل ، ويكنى أبا أيوب . سمع الحديث بقرطبة فى سنة ثلاث وأربعين وثلاثمائة ، وهو ابن عشر

سنين ، من أبى بكر أحمد بن الفضل الدينورى[1] وأبى الحزم وهب بن مسرة[2] ، بمسجد أبى علاقة ، وبجامع قرطبة والزهراء وغيرهما ، مع أخيه محمد بن حسان[3] ثم ترعرع وسمع أحمد بن سعيد الصدفى المنتجالى[4] ، وأبا عبد الله محمد بن هلال[5] ، وأبا ابراهيم إسحاق بن إبراهيم[6] ، والأسعد بن عبد الوارث[7] ، وأخذ العربية عن محمد بن يحيى الرباحى[8] . قرأ عليه كتاب سيبويه فى سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة . وهو آخر القرأة عليه ، وفى تلك السنة كانت وفاته رحمه الله ، وصحب أبا بكر بن القوطية[9] . وأبا أيوب سليمان بن محمد الفقيه[10] وغيرهما . وعنى بطلب الطب ، فغلب عليه وعرف به . وبلغ منه الغاية ، وطلبه وهو ابن أربع عشرة سنة ، وأفتى فيه وهو ابن أربع وعشرين . وألف كتاباً حسناً فى طبقات الأطباء

---

(١) هو أبو بكر أحمد بن الفضل بن العباس البهرانى الدينورى الخفاف . دخل الأندلس سنة ٣٤١ هـ فأقبل الناس إليه وازدحموا عليه لتلقى العلم منه . وتوفى بقرطبة سنة ٣٤٩ هـ وقد بلغ من السن اثنتين وثمانين سنة وأياماً (ابن الفرضى ١ : ٥٩)

(٢) هو أبو الحزم وهب بن مسرة بن مفرج ابن حكم التيمى من أهل وادى الحجارة ، قدم إلى قرطبة وأقام بها . كان حافظاً للفقه ، بصيراً بالحديث ، مع ورع وفضل ، وكانت الرحلة إليه للسماع منه . توفى سنة ٣٤٦ هـ بوادى الحجارة . (ابن الفرضى ٢ : ٢٤) .

(٣) محمد بن حسان ويعرف بابن جلجل شقيق المؤلف – وكان أسن منه . عنى بالحديث ولقاء أهله . وفى كتبه تقيد سماع أخيه سليمان ، من هؤلاء المذكورين . (التكملة لابن الأبار ١ : ١٠١ – ١٠٢) .

(٤) هو أبو عمر أحمد بن سعيد بن حزم بن يونس الصدفى من أهل قرطبة ، عنى بالآثار والسنن وجمع الأحاديث . ورحل إلى المشرق سنة ٣١١ هـ ، ثم رجع إلى الأندلس ؛ وصنف تاريخاً فى المحدثين بلغ فيه الغاية . ولد سنة ٢٨٤ وتوفى سنة ٣٥٠ (ابن الفرضى ١ : ٤٢) .

(٥ و٦) لم أعثر لهما على ترجمة ؟ !

(٧) هو أبو القاسم الأسعد بن عبد الوارث بن يونس بن محمد القيسى من أهل قرطبة ، كان معلم كتاب . وسمع الحديث عن شيوخ عصره . (ابن الفرضى ١ : ٧٠) .

(٨) هو محمد بن يحيى بن عبد السلام الأزدى النحوى المعروف بالرباحى ، من أهل قرطبة وأصله من جيان . رحل إلى المشرق وسمع من أعلام عصره . وكان فقيهاً إماماً موثوقاً توفى سنة ٣٥٨ هـ (ابن الفرضى ٢ : ٣٦٤) .

(٩) هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية صاحب كتاب الأفعال وتاريخ افتتاح الأندلس ، كان عالماً بالنحو حافظاً للغة متقدماً فيهما على أهل عصره ، توفى سنة ٣٦٧ هـ (ابن الفرضى ١ : ٣٧٠) .

(١٠) هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن سليمان مولى لهمدان ، من أهل شذونة . رحل إلى المشرق سنة ٣٣٤ هـ . وعاد إلى الأندلس سنة ٣٣٧ . ولد سنة ٣٠٠ وتوفى سنة ٣٧١ هـ . (ابن الفرضى ١ : ١٥٩) .

والحكماء ، وفرغ منه فى صدر سنة سبع وسبعين وثلاثمائة . ومولده سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة .

روى عنه سعيد بن محمد الطليطلى المعروف بابن البغونش[1]. ذكر ذلك صاعد القاضى ، وذكره أبو محمد ابن حزم فى رسالته » .

ولا يظنن أحد أن العبارة الأخيرة وهى : « ذكر ذلك صاعد القاضى ، وذكره أبو محمد بن حزم فى رسالته » أن هذه الترجمة أوردها صاعد فى طبقات الأمم . بل إن المقصود ، هو أن صاعداً ذكر أثناء ترجمته الموجزة لابن جلجل ، أن ممن روى عن ابن جلجل ، سعيد بن محمد الطليطلى المعروف بابن البغونش ، كما أن ابن حزم ذكر اسم ابن جلجل واسم كتابه عرضاً ، فى رسالته فى فضائل الأندلس ضمن من ذكرهم .

ولقد كان ابن جلجل شديد العناية بتحصيل العلوم المختلفه ، فقد سمع الحديث على أساتذة عصره من المحدثين ، وتلقى النحو وعلوم العربية على أستاذ عصره محمد بن يحيى الرباحى ، الذى رحل إلى المشرق ولقى أئمة العلم فيه ، وحمل عنهم بعض الكتب الهامة بالرواية ، ومنها كتاب سيبويه ، الذى كان ابن جلجل آخر من قرأه عليه من تلاميذه سنة ٣٥٨هـ ، ومات الرباحى فى هذه السنة ، ثم صحب أستاذه أبا بكر بن القوطية المتوفى سنة ٣٦٧ هـ (صاحب كتاب الأفعال وتاريخ افتتاح الأندلس) وأخذ عنه الكثير من العلوم . وكانت عنايته بالطب ودراسته والاشتغال به فى سن مبكرة ، بدأ بطلبه فى الرابعة عشرة . وأفتى فيه فى الرابعة والعشرين[2] . وغلب عليه هذا الفن وبه عرف ، وفيه وفى رجاله كانت مؤلفاته . ومع أنه كان خبيراً بالمعالجات جيد التصرف فى صناعة الطب ، فانه كان على علم كبير بقوى الأدوية المفردة وصناعتها وتركيبها .

ورغم أنه عاصر عبد الرحمن الناصر والحكم المستنصر ، وأسهم فى عصرهما بقسط

---

(١) هو أبو عثمان سعيد بن محمد الطليطلى المعروف بابن البغونش . من أهل طليطلة ، رحل إلى قرطبة وتلقى علوم الطب فيها على ابن جلجل ، ومحمد بن عبدون الجبلى العددى . وبرع فيه ، ولد سنة ٣٦٩ وتوفى سنة ٤٤٤هـ (ابن أبى أصيبعة ٢ : ٤٩) .

(٢) يلاحظ تأثر ابن جلجل فى هذه العبارة بما ذكره فى ترجمة جالينوس (صفحة ٤١) من أنه برع فى الطب وهو ابن سبع عشرة ، وأفتى فيه وهو ابن أربع وعشرين .

كبير من علمه ومجهوده ، إلا أنه نبغ واشتهر فى ولاية المؤيد بالله هشام الأولى (٣٦٦– ٣٩٩ هـ) الذى كان طبيبه الخاص ، وألف فى عهده أكثر كتبه ، ومنها كتابه تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس ، الذى ألفه بمدينة قرطبة فى ربيع الآخر سنة ٣٧٢ هـ . وكتاب « طبقات الأطباء والحكماء » الذى نحن بصدده .

تاريخ وفاة ابن جلجل

جميع المصادر التى ترجمت لابن جلجل ، لم تذكر لنا تاريخ وفاته ، سوى ما ورد عند حاجى خليفة فى « كشف الظنون » من أنه توفى بعد سنة ٣٧٢ هـ – وهو التاريخ الذى ذكر ابن جلجل أنه ألف فيه كتابه « تفسير أسماء الأدوية المفردة » – وباقى المصادر تذكر أنه كان طبيب المؤيد بالله هشام بن الحكم (٣٦٦ – ٣٩٩ هـ) معتمدين فى ذلك على كلام ابن جلجل نفسه فى الكتاب المذكور.

ولسنا ندرى فى أى سنة مات ابن جلجل فى ولاية المؤيد الأولى ، التى بلغت ٣٣ عاماً تقريباً . إلا أننا نعرف أنه ألف كتابه « طبقات الأطباء » فى صدر سنة ٣٧٧ هـ – كما يذكر ابن الأبار نقلا عن ترجمة ابن جلجل لنفسه – ونعرف أيضاً أن من تلاميذه ، سعيد بن محمد الطليطلى المعروف بابن البغونش [1] المولود سنة ٣٦٩ هـ المتوفى سنة ٤٤٤ هـ . وقد ولد فى طليطلة ، وارتحل إلى قرطبة لتلقى العلم . فاذا فرضنا أنه بدأ فى دراسة الطب وسنه خمسة عشر عاماً تقريباً – وهى السن التى بدأ فيها ابن جلجل دراسة الطب – فيكون ذلك سنة ٣٨٤ هـ . ومن هذا يمكننا أن نقول إن ابن جلجل مات بعد هذه السنة [2].

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٢ : ٤٩ ، وطبقات الأمم ص ٨٣

(٢) المصادر التى ترجمت لابن جلجل :

ا – المصادر العربية

١ – عيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة ٢ : ٤٦–٤٨

٢ – إخبار العلماء بأخبار الحكماء للقفطى ص ١٩٠

٣ – طبقات الأمم للقاضى صاعد الأندلسى ص ٨٠–٨١

٤ – مسالك الأبصار لابن فضل الله العمرى (مخطوط) جزء ٥ مجلد ٣ لوحة ٥٨٠ إلى ٥٨١ .

مؤلفات ابن جلجل

(١) تفسير أسماء الأدوية المفردة من كتاب ديسقوريدوس[١]. وهذا الكتاب ضاع ولم يصل إلينا منه إلا قطعة صغيرة محفوظة فى مكتبة مدريد برقم ٢٣٣ (راجع فهرست هذه المكتبة ص ١٠٥). وقد ذكر بروكلمان فى ملحق الجزء الأول ص ٤٢٢ نسخة من هذا الكتاب فى مكتبة بنكبور بالهند رقم ٢١٨٩. وقد رجعت إلى فهرست هذه المكتبة. فوجدت أن الكتاب الذى يشير إليه بهذا الرقم، مكتوب سنة ٥٠٠ هـ فى ١٢٢ ورقة، ويحمل العنوان المذكور، إلا أن واضع الفهرست[٢] ذكر فى خانة الملاحظات «أن ديسقوريدوس ألف هذا الكتاب باليونانية، وترجمه ابن جلجل إلى العربية، وصححه حنين بن اسحق، كما صححه أيضاً بعد ذلك الحسين بن ابراهيم الطبرى، وأضاف إليه زيادات».

٥ – الوافى بالوفيات للصفدى (مخطوط) جزء ١٢ ص ٨٧

٦ – بغية الملتمس للضبى صفحة ٢٨٥

٧ – جذوة المقتبس للحميدى صفحة ٢٠٨

٨ – تكلة الصلة لابن الأبار صفحة ٢٩٧

٩ – نفح الطيب للمقرى ٤ : ١٦٧

١٠ – الخطط التوفيقية لعلى مبارك ٨ : ٩٧

١١ – معجم الأطباء لأحمد عيسى ص ٢٠٧

١٢ – مقدمة البارون سلفستردى ساسى لكتاب الإفادة والاعتبار لعبد اللطيف البغدادى.

ب – المصادر الأوربية

SOURCES EUROPÉENNES :

1. C. Brockelmann, *GAL.* I, 237; S., I, 422.
2. M. Casiri, *Bibliotheca arabico-hispana escurialensis,* 1760 I, p. 437; II, 137.
3. L. Leclerc, *De la traduction arabe de Dioscoride et des traductions arabes en général, Journal asiatique,* IX (1867), 5-38.
4. L. Leclerc, *Histoire de la médecine arabe,* 1876, I, 430-432.
5. Max Meyerhof, *Die materia medica des Dioskurides bei den Arabern (Quellen und Studien zur Geschichte der Naturwissenschaften und der Medizine,* III, 4, 1933.
6. A. Mieli, *Histoire des Sciences antiquité,* 1939.
7. F. M. Pareja, *Islamologia,* 1951, 710.
8, G. Sarton, *Introduction to the history of science,* 1927-1948.
9. J. Sontheimer, *Grosse Zusammenstellung über die Kräfte der bekannten einfachen Heil- und nahrungsmittel von Ebn Baithar,* II, 1842, p. 740-743.

(١) من نسخة خطة بمكتبة شوواى ملى بطهران برقم ١٥٤٥ (١٥٣٨).

(٢) فهرست مكتبة بنكبور المسمى «مفتاح الكنوز الخفية» ترتيب مولوى عبدالحميد كيورتير الجلد الأول طبع سنة ١٩١٨.

وفى هذه المعلومات أوهام كثيرة ، فالنسخة التى صححها حنين بن إسحاق ، كانت لكتاب الحشائش لديسقوريدوس نفسه من ترجمة اصطفن بن بسيل — والكتاب الذى نحن بصدده من تأليف ابن جلجل شرحاً على ديسقوريدوس — كما أن حنين بن إسحاق توفى قبل ابن جلجل بنحو قرن من الزمان . وليس لابن جلجل صلة بهذه الترجمة . ثم أنه لم يرد فى المصادر المعروفة ما ينبىء بأن الحسين ابن ابراهيم الطبرى قد قام بتصحيح آخر للكتاب ، وزاد عليه ؛ وعلى ذلك لا زلنا فى حاجة إلى ما يوضح حقيقة النسخة الموجودة فى بنكبور ، وأغلب الظن أنها كتاب الحشائش لديسقوريدوس .

وذكر الأب سباط فى ملحق فهرسته ص ٣٨ . نسخة من هذا الكتاب مكتوبة سنة ٦٩٣ . ولا يعلم أين توجد هذه النسخة الآن مع الأسف .

ونجد عند الغافقى وابن البيطار — فى كتابيهما فى الأدوية المفردة — نقولا كثيرة من كتاب ابن جلجل هذا . وقد كان من حسن الحظ أن ابن أبى أصيبعة [1] ، احتفظ لنا بنص هام من مقدمته التى ذكر فيها ابن جلجل تاريخ دخول كتاب ديسقوريدوس الأندلس فى عصر الناصر عبد الرحمن (سنة ٣٣٧ ﻫ) هدية [2] من الامبراطور رومانوس [3] .

ولأهمية هذا النص الذى نعتبره جزءاً من تاريخ حياة ابن جلجل فإنا نورده بتمامه نقلا عن ابن أبى أصيبعة :

---

(١) ابن أبى أصيبعة ٢ : ٤٨ .

(٢) يقول المقرىُ فى نفح الطيب (١ : ٢٣٤) وهو يذكر حكاية هذه الهدية ، أنه ينقل معلوماته عنها ، من المغرب لابن سعيد ، ومن العبر لابن خلدون الذى يقول أنها كانت سنة ٣٣٦ ﻫ . ومن ابن حيان الأندلسى ، الذى يقول إنها كانت سنة ٣٣٨ ﻫ . ويعلق على هذا الاختلاف بقوله : « والله أعلم أيهما أصح » . وابن جلجل يقول — كما ورد فى النص المحفوظ عند ابن أبى أصيبعة — : « أحسب أنها كانت فى سنة ٣٣٧ ﻫ » .

(٣) كان ملك القسطنطينية ، فى ذاك الوقت ، قسطنطين بن إليون (قسطنطين السادس المعروف بـ : بروفيروجانات) وكان صاحب الأمر فى دولته « رومانوس » فغلب عليه ، وقام بأمر الملك فى وجوده ، ولبس التاج وسمى نفسه ملكاً ، وصار للقسطنطينية فى ذاك العصر ملكان ، حتى أن الرسالة التى أرسلت مع هذه الهدية ، كان عنوانها « قسطنطين ورومانس المؤمنان بالمسيح الملكان العظيمان ملكا الروم » (نفح الطيب ١ : ٢٣٤ ، طبقات الأمم ٣٥ ، التنبيه والإشراف ١٤٦) .

[قال ابن جلجل] : « إن كتاب ديسقوريدوس ترجم بمدينة السلام (بغداد) فى الدولة العباسية ، فى أيام جعفر المتوكل ، وكان المترجم له اصطفن بن بسيل الترجمان ، من اللسان اليونانى إلى اللسان العربى ، وتصفح ذلك حنين بن إسحاق المترجم ، فصحح الترجمة وأجازها ، فما علم اصطفن من تلك الأسماء اليونانية فى وقته له اسما فى اللسان العربى ، فسره بالعربية ، وما لم يعلم له فى اللسان العربى اسما تركه فى الكتاب على اسمه اليونانى ، اتكالا منه على أن يبعث الله بعده ، من يعرف ذلك ويفسره باللسان العربى ، إذ التسمية لا تكون إلا بالتواطؤ من أهل كل بلد على أعيان الأدوية بما رأوا ، وأن يسموا ذلك ، إما باشتقاق وإما بغير ذلك من تواطئهم على التسمية ، فاتكل اصطفن على شخوص يأتون بعده ممن قد عرف أعيان الأدوية التى لم يعرف هو لها إسما فى وقته ، فيسميها على قدر ما سمع فى ذلك الوقت ؛ فيخرج إلى المعرفة .

قال ابن جلجل : وورد هذا الكتاب إلى الأندلس وهو على ترجمة اصطفن ، منه ما عرف له إسما بالعربية ومنه ما لم يعرف له إسما ، فانتفع الناس بالمعروف منه بالمشرق وبالأندلس ، إلى أيام الناصر عبد الرحمن بن محمد وهو يومئذ صاحب الأندلس ، فكاتبه أرمانيوس الملك (Romanos) ملك القسطنطينية أحسب فى سنة ٣٣٧ هـ . وهاداه بهدايا لها قدر عظيم ، فكان فى جملة هديته كتاب ديسقوريدوس مصور الحشائش بالتصوير الرومى العجيب . وكان الكتاب مكتوباً بالإغريقى الذى هو اليونانى ، وبعث معه كتاب هروسيس صاحب القصص ، وهو تاريخ للروم عجيب ، فيه أخبار الدهور ، وقصص الملوك الأول ، وفوائد عظيمة . وكتب أرمانيوس فى كتابه إلى الناصر ، إن كتاب ديسقوريدس لا تجتنى فائدته ، إلا برجل يحسن العبارة باللسان اليونانى ، ويعرف أشخاص تلك الأدوية ، فان كان فى بلدك من يحسن ذلك ، فزت أيها الملك بفائدة الكتاب . وأما كتاب هروسيس فعندك فى بلدك من اللطينيين من يقرأ باللسان اللاطينى ، وإن كشفتهم عنه نقلوه لك من اللاطينى إلى اللسان العربى .

قال ابن جلجل : ولم يكن يومئذ بقرطبة من نصارى الأندلس من يقرأ اللسان الإغريقى الذى هو اليونانى القديم ، فبقى كتاب ديسقوريدس فى خزانة عبد الرحمن الناصر باللسان الإغريقى ، ولم يترجم إلى اللسان العربى ، وبقى الكتاب بالأندلس ،

والذى بين أيدى الناس بترجمة اصطفن الواردة من مدينة السلام (بغداد) فلما جاوب الناصر مارينوس الملك ، سأله أن يبعث إليه برجل يتكلم بالإغريقى واللاطينى ، ليعلم له عبيداً يكونون مترجمين . فبعث أرمانيوس الملك إلى الناصر براهب كان يسمى نيقولا (Nicola) ، فوصل إلى قرطبة سنة ٣٤٠ هـ . وكان يومئـذ بقرطبة من الأطباء ، قوم لهم بحث وتفتيش وحرص على استخراج ما جهل من أسماء عقاقير ديسقوريدس العربية ، وكان أبحثهم وأحرصهم على ذلك من جهة التقرب إلى الملك عبد الرحمن الناصر ، حسداى بن شبروط الإسرائيلى . وكان نيقولا الراهب عنده أحظى الناس وأخصهم به ، وفسر من أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ما كان مجهولا ، وهو أول من عمل بقرطبة ترياق الفاروق على تصحيح الشجارية التى فيه ، وكان فى ذلك الوقت من الأطباء الباحثين عن تصحيح أسماء عقاقير الكتاب وتعيين أشخاصه ، محمد المعروف بالشجار ، ورجل كان يعرف بالبسباسى ، وأبو عثمان الحزاز الملقب باليابسة ، ومحمد بن سعيد الطبيب ، وعبد الرحمن بن إسحاق بن هيثم ، وأبو عبد الله الصقلى ، وكان يتكلم باليونانية ، ويعرف أشخاص الأدوية .

قال ابن جلجل : وكان هؤلاء النفر كلهم فى زمان واحد مع نقولا الراهب ، أدركتهم وأدركت نقولا الراهب فى أيام المستنصر ، وصحبتهم فى أيام المستنصر الحكم ، وفى صدر دولته مات نقولا الراهب ، فصح ببحث هؤلاء النفر الباحثين عن أسماء عقاقير كتاب ديسقوريدس ، وتصحيح الوقوف على أشخاصها بمدينة قرطبة خاصة بناحية الأندلس . ما أزال الشك فيها عن القلوب ، وأوجب المعرفة بها والوقوف على أشخاصها ، وتصحيح النطق بأسمائها بلا تصحيف إلا القليل منها الذى لا بال به ولا خطر له ، وذلك يكون فى مثل عشرة أدوية .

قال [ابن جلجل] : وكان لى فى معرفة تصحيح هيولى الطب الذى هو أصل الأدوية المركبة ، حرص شديد وبحث عظيم ، حتى وهبنى الله من ذلك بفضله بقدر ما اطلع عليه من نيتى ، فى إحياء ما خفت أن يدرس ، وتذهب منفعته لأبدان الناس ، فالله قد خلق الشفاء وبثه فيما أنبته من الأرض واستقر عليها من الحيوان المشاء ، والسابح فى الماء والمنساب ، وما يكون تحت الأرض فى جوفها من المعدنية ، كل ذلك فيه شفاء ورحمة ورفق » .

(٢) مقالة فى ذكر الأدوية التى لم يذكرها ديسقوريدس فى كتابه مما يستعمل فى صناعة الطب ، وينتفع به ، ومالا يستعمل كيلا يغفل عن ذكره . ويقول ابن جلجل فى هذه المقالة : « إن ديسقوريدس أغفل ذلك ، إما لأنه لم يره ، ولم يشاهده عياناً ، وإما لأن ذلك كان غير مستعمل فى دهره وأبناء جنسه . » (ذكرها ابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٤٨ ، والصفدى فى الوافى بالوفيات ج ١٢ ص ٨٧) .

وفى مكتبة البودليانا باكسفورد رسالة صغيرة ضمن مجموعة رقم ٥٧٣ عنوانها : استدراك على كتاب الحشائش لديسقوريدس . لابن جلجل ، ولعلهـا هذه المقالة ؟ .

٣) مقالة فى أدوية الترياق . ومنها نسخة ضمن المجموعة السابقة رقم ٥٧٣ بالبودليانا .

٤) رسالة التبيين فيما غلط فيه بعض المتطببين (ذكرها ابن أبى أصيبعة ج ٢ ص ٤٨ . والصفدى فى الوافى بالوفيات ج ١٢ ص ٨٧) . وهذه الرسالة ضاعت ولم تصل إلينا .

٥) طبقات الأطباء والحكماء : وهذا هو كتابنا الذى نقدمه بين يدى العلماء والباحثين . فرغ ابن جلجل من تأليفه صدر سنة ٣٧٧ هـ . كما ذكر ابن الأبار ، نقلا من ترجمة ابن جلجل الذاتية .

وقد اختلف المؤرخون ومن نقلوا عنه فى اسمه . وسموه بأسماء مختلفة . حتى أن النسخة التى اعتمدنا عليها فى نشر الكتاب لا تقدم لنا إسما صريحاً له ، فقد خلت من صفحة العنوان وبدأت بمتن الكتاب مباشرة . ولست أدرى إن كانت ورقة العنوان فقدت من النسخة أم أنها كانت فعلا خلواً منه ، وإنى أرجح أن النسخ التى عرفت من هذا الكتاب ، ونقل عنها المؤرخون كابن أبى أصيبعة والقفطى وصاعد الأندلسى وابن فضل الله العمرى ، كانت هى الأخرى — كنسختنا — بدون عنوان ، فكلهم لا يقدمون لنا إسما صريحاً للكتاب ، بل وضع له كل منهم الاسم الذى استنبطه من موضوعه .

فابن أبي أصيبعة يسميه : «كتاب يتضمن ذكر شيء من أخبار الأطباء والفلاسفة» . والقفطي يقول عنه : «تصنيف صغير فى تاريخ الحكماء» وصاعد الأندلسى ينقل منه نصوصاً بعينها ولا ينسبها إليه . ولا يذكر اسم كتابه .

أما صاحب كشف الظنون (٢ : ١٠٩٦) فيذكر ابن جلجل وابن أبي أصيبعة ، بأنهما ممن ألف فى « طبقات الأطباء » . ومن المرجح أنه لم ير كتاب ابن جلجل . وإلا فانه كان يذكر لنا أوله ، كعادته فى تعريف الكتب التى وقف عليها . كما أن ابن حزم ذكر فى رسالته فى « فضائل علماء الأندلس [1] » اسم ابن جلجل ، وقال إن له كتاب « أخبار الأطباء » . وفى « بغية الملتمس للضبى » ، ترجمة موجزة لابن جلجل ذكر فيها أن له كتاب « أخبار الأطباء بالأندلس » وهذا يدل على أنه لم ير الكتاب ، لأنه فى أخبار الأطباء فى الأندلس وغيرها ، من أول نشأة الطب حتى عصر مؤلفه .

وهذا التباين فى عنوان الكتاب يدل على أن النسخ التى كانت بين أيدى من أخذ عنه واستفاد منه ، تطابق نسختنا فى خلوها من العنوان .

فهل ألف ابن جلجل كتابه ، ووضع له عنواناً صريحاً ؟ . أم أن الأمر على خلاف ذلك . أغلب الترجيح عندى أنه وضع لكتابه عنواناً هو : « طبقات الأطباء والحكماء » . ويؤيد هذا :

أولا — موضوع الكتاب وترتيبه ، فالكتاب يترجم للأطباء والحكماء ، ويؤرخ لهم . وهو مرتب على تسع طبقات ، ولكل طبقه منها عنوان خاص .

ثانياً — ما نقله ابن الأبار من ترجمة ابن جلجل لنفسه ، من أن له كتاباً حسناً فى : « طبقات الأطباء والحكماء » . وهى فى الواقع تسمية المؤلف لكتابه . الذى ذكره أكثر من مرة بأنه « كتاب » ثم اعتبره فى المقدمة [2] « رسالة » . ولعل سبب وصفه له بذلك ، أنه ألفه كـ « رسالة » منه إلى أحد أشراف عصره « الأمويين القرشيين من نسل الخلفاء » ، بناء على سؤاله وطلبه .

ثالثاً — ما ذكره ابن الأبار أيضاً فى ترجمة « محمد بن حسان بن جلجل » .

---

(١) هذه الرسالة موجودة بنصها فى نفح الطيب جـ ٢ : ١١٩ — (٢) ص ١ ، ٢ من هذا الكتاب .

– شقيق المؤلف – من أخبار نقلها من كلام ابن جلجل ، بقوله : « حكى ذلك فى كتاب طبقات الأطباء من تأليفه » .

رابعاً – ترجمة أصبغ بن يحيي الطبيب عند ابن الأبار ، بنصها نقلا عن ابن جلجل . ويقول فى آخرها : « ذكره سليمان ابن جلجل فى طبقات الأطباء له » .

خامساً – فى عصر ابن جلجل بالذات ، عرف تأليف الكتب على نظام الطبقات ، وقد كانت الكتب المألوفة قبل ذلك فى التراجم العامة ، أو التى تترجم لطوائف بأعيانها . أن تكون مرتبة على حروف المعجم . أما فى هذا العصر (فى بلاد الأندلس) فقد ألف أبو بكر الزبيدى المتوفى سنة ٣٧٩ . وهو من المعاصرين لابن جلجل ، كتاب « طبقات النحويين واللغويين »[1] وقد كانا كلاهما فى خدمة الخليفة الأموى الحكم المستنصر . وهذه الأسباب كلها تؤيد أن المؤلف سمى كتابه « طبقات الأطباء والحكماء » رغم خلو النسخ التى عرفت منه من هذه التسمية وربما كان السبب فى ذلك أن هذه النسخ كلها ترجع إلى أصل واحد هو الذى كان خلواً من هذا العنوان .

وهذا ثبت بالكتب التى ألفت فى تراجم الأطباء ونوادرهم وأحوالهم ، أو الكتب التى تضمنت مثل هذه التراجم مرتبة ترتيباً زمنياً على قدر الاستطاعة :

١ – تاريخ يحيي النحوى للأطباء والحكماء – ترجمه إسحاق بن حنين وضمنه كتابه .

٢ – تاريخ الأطباء والحكماء لإسحاق بن حنين المتوفى سنة ٢٩٨ هـ ، اعتمد فيه على الكتاب السابق . وقد نشره الأستاذ روزنتال فى مجلة أوريانس Oriens (الجزء السابع ١٩٥٤) .

٣ – نوادر الأطباء تأليف حنين بن إسحاق المتوفى سنة ٢٦٠ هـ . منه نسخة مخطوطة بالاسكوريال برقم ٧٥٦ . وقد طبع لفتنسال النص العبرى لهذا الكتاب وترجمه . وذكر بعضهم على أنه تاريخ للحكماء والأطباء (التراث اليونانى ص ٣٩) . ولا يعد هذا الكتاب تاريخاً بالمعنى الصحيح ، وإنما هو مقتطفات من آداب وأقوال الفلاسفة والحكماء اليونانيين ، وبعض آرائهم . وقد جمعه مؤلف مجهول من أقوال حنين بن إسحاق .

٤ – كتاب قينون الترجمان (من القرن الثالث الهجرى) ينقل عنه ابن أبى أصيبعة كثيراً من تراجم الأطباء فى العصر العباسى الأول . وعند القفطى نفس هذه التراجم من غير أن ينسبها

(١) نشر هذا الكتاب أخيراً (سنة ١٩٥٤) بعناية وتحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل ابراهيم .

إليه . وقد ترجم القفطى لشخص إسمه « قينون » ولعله هذا . أما عند ابن أبى أصيبعة (النسخة المطبوعة) فيذكر إسمه دائماً « فثيون » وفى قطعة مخطوطة من ابن أبى أصيبعة فى الخزانة التيمورية برقم ١٧٩٢ تاريخ . ورد إسمه « قينون الترجمان » وقد ذكر ابن النديم فى الفهرست ص ٣٤١ اسم « فثيون » بين نقله العلوم . وتمتاز التراجم التى نقلها عنه ابن أبى أصيبعة بأن ما فيها من الأخبار محدد بالتواريخ . وقد فقد هذا الكتاب ولم يصل إلينا .

٥ — أدب الطبيب تأليف إسحاق بن على الرهاوى (من القرن الثالث الهجرى) ينقل عنه ابن أبى أصيبعة بعض التراجم . وينقل القفطى عنده نفس هذه التراجم ولا يذكر إسمه . ويقول عنها : « قال بعض الرواة » . (ص ١٠٣ من القفطى) وهذا الكتاب فقد ولم يصل إلينا .

٦ — كتاب أبى على القيانى (من القرن الثالث الهجرى) ينقل عنه ابن أبى أصيبعة . ولم يصل إلينا هذا الكتاب .

٧ — تاريخ اليعقوبى المتوفى سنة ٢٨٤ هـ (تضمن الكثير من تراجم الأطباء) — مطبوع .

٨ — سيرة الحكماء — تأليف أبى بكر محمد ابن زكريا الرازى الطبيب المتوفى سنة ٣١٣ ينقل عنه ابن أبى أصيبعة . ولم يصل إلينا .

٩ — أخبار الأطباء (المتطببين) وأخبار المنجمين تأليف أحمد بن يوسف بن إبراهيم بن الحاسب المعروف بابن الداية (كان موجوداً سنة ٣٤٠) ينقل عنه كثيراً ابن أبى أصيبعة والقفطى . وربما كان هذا الكتاب من تأليف أبيه يوسف بن إبراهيم . فقد تكرر النقل منه عندهما منسوباً إليه . وقد فقد ولم يصل إلينا .

١٠ — التنبيه والإشراف للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٦ (تضمن الكثير عن تراجم الأطباء) — مطبوع .

١١ — الفهرست لابن النديم ألفه نحو سنة ٣٧٧ (تضمن الكثير من تراجم الأطباء) — مطبوع .

١٢ — تاريخ فلاسفة العرب : للحكيم أبى القاسم مسلمة المجريطى المتوفى سنة ٣٩٥ هـ . مؤلف : رتبة الحكيم ، وغاية الحكيم الذى ألفه سنة ٣٤٨ ورتبه على أربع مقالات، وجاء فى آخر المقالة الثانية منها عند ذكره لمحمد بن زكريا الرازى قوله : « قد ذكرت مقالته فى الطلسمات فى كتابى المسمى : تاريخ فلاسفة العرب فراجعه » (وانظر الذريعة ٣ : ٢٧٣) .

١٣ — صوان الحكمة لأبى سليمان المنطقى السجستانى المتوفى أواخر القرن الرابع الهجرى . ولم يصل إلينا هذا الكتاب ، وإنما وصلنا منتخب له . منه نسخة مخطوطة بمكتبة كوبريلى برقم ٩٠٢ وأخرى فى مكتبة مراد ملا برقم ١٤٠٨ وعنهما نسختان مصورتان بدار الكتب المصرية .

١٤ — مناقب الأطباء : تأليف عبيد الله ابن جبريل بن عبيد الله بن بختيشوع . ألفه سنة ٤٢٢ هـ ومنه نقول عند ابن أبى أصيبعة . ولم يصل إلينا .

١٥ — طبقات الأمم — تأليف القاضى أبى القاسم صاعد بن أحمد الأندلسى المتوفى سنة ٤٦٢ هـ . وهو ممن نقل عن (طبقات ابن جلجل) — طبع فى مصر وفى بيروت .

١٦ — بستان الأطباء وروضة الألباء — تأليف موفق الدين أسعد بن الياس بن المطران المتوفى سنة ٥٨٧ هـ . منه نسخة برقم ٨ بمكتبة الجيش الطبية فى كليفلند بأمريكا

Army Medical Library, Cleveland.

١٧ — مختار الحكم ومحاسن الكلم للأمير المبشر بن فاتك المتوفى سنة ٥٨٩ هـ . منه نسخة

فى مكتبة أحمد الثالث كتبت سنة ٦٥٨ برقم ٣٢٤٩

١٨ – تاريخ حكماء الإسلام – تأليف ظهير الدين البيهقى المتوفى سنة ٥٩٥ هـ طبع فى دمشق سنة ١٩٤٦ بهذا العنوان. وطبع قبل ذلك فى لاهور بالهند سنة ١٣٥١ هـ بعنوان: تتمة صوان الحكمة.

١٩ – إخبار العلماء بأخبار الحكماء – تأليف جمال الدين على بن يوسف بن القفطى المتوفى سنة ٦٤٦ هـ (وهو ينقل كثيراً عن كتاب ابن جلجل). طبع فى مصر وأوربا. ويوجد من هذا الكتاب مخطوطة فى مكتبة ينى جامع برقم ٨٥٤، تحمل عنواناً آخر هو: روضة العلماء فى تاريخ الحكماء وهى مكتوبة سنة ٩٨٢ هـ ومذكور فيها أن هذا الكتاب من جمع حفيد المؤلف.

٢٠ – عيون الأنباء فى طبقات الأطباء – تأليف موفق الدين أبى العباس أحمد بن أبى أصيبعة المتوفى سنة ٦٦٨ هـ. (وهو ينقل كثيراً عن ابن جلجل). طبع فى مصر.

٢١ – مختصر تاريخ الدول لأبى الفرج غريغوريوس بن العبرى المتوفى سنة ٦٨٥ هـ. (وبه نقل من ابن جلجل) – طبع فى أوربا وبيروت.

٢٢ – روضة الأفراح ونزهة الأرواح تأليف شمس الدين محمود الشهرزورى الاشراق توفى فى القرن السابع الهجرى – منه نسخة مخطوطة فى مكتبة راغب برقم ٩٩٠

٢٣ – مسالك الأبصار فى ممالك الأمصار – تأليف شهاب الدين بن فضل الله العمرى المتوفى سنة ٧٤٩. أفرد فيه قسما كبيراً للأطباء فى المشرق والمغرب. منه نسخة مخطوطة فى أياصوفيا وطبعت منه دار الكتب المصرية الجزء الأول فقط.

٢٤ – حالات الحكماء – مؤلف بالفارسية.

قسمه مؤلفه إلى قسمين:

١ – الحكماء قبل الإسلام من آدم وادريس إلى تمام نيف وثلاثين حكيما.

٢ – الحكماء بعد ظهور الإسلام من حنين بن إسحاق وابنه إسحاق إلى ما يقرب من سبعين حكيما آخرهم شهاب الدين السهروردى المقتول سنة ٥٨٧ هـ.

منه نسخة مخطوطة سنة ١٢٨٦ فى مكتبة المشكاة بفارس (انظر الذريعة ٦ : ٢٣٤).

مصادر الكتاب

من مزايا هذا الكتاب ، عناية المؤلف بذكر الأصول والمصادر التى اعتمد عليها فى جمع هذا التأليف ، ويمكننا تقسيم هذه المصادر إلى نوعين :

ا ـ النقل من الكتب .
ب ـ الأخبار المروية بالسماع .

ا ـ فمن الكتب التى نقل عنها هى كما ذكر فى مقدمة كتابه أو ورد فى ثناياه :

١) كتاب الألوف لأبى معشر .
٢) كتاب هروشيش صاحب القصص .
٣) كتاب القروانقة ليرونم الترجمان .
٤) كتاب ايزيدورس الأشبيلى .
٥) كتب أخرى وردت فى متن الكتاب .

وسنتكلم عن هذه الكتب بشىء من التفصيل . ثم نعود إلى الحديث على بقية مصادره .

كتاب الألوف :

ألفه أبو معشر جعفر بن محمد بن عمر البلخي ، أحد المنجمين العرب ، وعرفه الغربيون فى العصور الوسطى باسم « أبماسر Albomasar » وقد بدأ حياته بدراسة الحديث ، ولم يبدأ علم النجوم إلا عندما بلغ السابعة والأربعين من عمره . واتهمه مصنفو العرب بانتحال مؤلفات غيره ، وتوفى سنة ٢٧٢ هـ ألف كثيراً من الكتب فى التنجيم والفلك والهيئة ومنها كتاب الألوف الذى يذكره ابن النديم بهذا الاسم ، ويذكر أنه كان فى ثمان مقالات . وأكثر الذين ترجموا لأبى معشر يذكرون كتابه بهذا الاسم فقط ، إلا أن البيرونى [١] ، يذكره باسم : «كتاب الألوف فى بيوت العبادات » . وفى منتخب صوان الحكمة للسجزى (لوحة ٦٦) ، نص منقول

(١) الآثار الباقية ص ٢٠٥

من هذا الكتاب — وهذا النص ورد عند ابن جلجل ، منسوباً إلى كتاب الألوف — ويسميه صاحب منتخب الصوان : « أخبار الأمم السالفة من المغربيين » . والمرجح أن القصد من لفظة « المغربيين » هم من كانوا يعيشون فى غرب العالم الإسلامى ، كاليونان والرومان وغيرهم ، ممن كانوا فى هذا الجانب من المعمورة . وعلى ذلك ، فتكون هذه التسمية متفقة مع موضوع الكتاب ، ومقتبسة منه .

وعرّف صاحب كشف الظنون ، هذا الكتاب بقوله : «كتاب الألوف ، فيه الهياكل والبنيان العظيم ، الذى يحدث بناؤها فى العالم فى كل ألف عام » . وهذا التعريف منقول بنصه مما جاء فى كتاب مروج الذهب للمسعودى المتوفى سنة ٣٤٥ ، وهو يصف جامع دمشق الكبير ، وأنه كان هيكلا به أصنام فى عهد الوثنيين . ويقول : « وقد ذكر أبو معشر المنجم فى كتابه المترجم بكتاب الألوف ، الهياكل والبنيان العظيم الذى يحدث بناؤها فى العالم فى كل ألف عام ، وكذلك ذكره ابن المازيار تلميذ أبى معشر فى كتابه المنتخب من كتاب الألوف » . وهذا النص هو الذى نقله البيرونى فى الآثار الباقية .

وورد اسم كتاب الألوف بعد ذلك فى بعض الكتب . ومنها لطائف المعارف للثعالبى (ص ١٠١) ومسالك الأبصار للعمرى (ج ٥ قسم ٣ لوحة ٤٣٧) .

وأغلب الظن ، أن اسم الكتاب الذى عرف به ، هو كتاب « الألوف » وأما ما اقترن بهذا الاسم من عبارات أخرى ، فهى عناوين أو تعريف للموضوع الذى نقل منه هذه النصوص .

ومع الأسف الشديد ، لم يصل إلى عصرنا نسخة من كتاب « الألوف » ولا من مختصر تلميذه ابن المازيار الذى ذكره المسعودى . وإنما نجد بالمتحف البريطانى مجموعة برقم Or. 3557 بها بعض مؤلفات أبى معشر . وضمنها « مختصر الأستاذ الأجل أبى العباس التنوخى رحمه الله لكتاب الألوف والأدوار لأبى معشر المنجم البلخى رحمه الله » . ولم أجد فى هذا المختصر ، أى نص من النصوص التى عرفناها من كتاب الألوف ، ويظهر أن صاحبه اقتصر فيه على ما يختص بذكر سنى العالم وحساب الفلك والبروج وقرانات الكواكب والدلالات الظاهرة من ذلك . وغير هذا من الأمور الفلكية والتنجيمية . ويقع هذا المختصر فى ٣٠ ورقة بقلم تعليق (فارسى) وهو من مخطوطات القرن الثانى عشر الهجرى تقريباً .

وفى المكتبة الأهلية بباريس مخطوط برقم ٢٥٨١ بعنوان : « الأدوار والألوف » لأبى معشر . ولم يتيسر لى الحصول على نسخة منه ، والأرجح أنه نسخة أخرى من المختصر المحفوظ بالمتحف البريطانى .

وقد اعتنى الأستاذ ليبرت Lippert بجمع بعض النصوص ، التى وردت فى الكتب ، من هذا الكتاب ، ونشرها مع ترجمة لها فى مجلة *W. Z. K. M.* سنة ١٨٩٥ م من ص ٣٥١ — ٣٥٨

كتاب هروشيوش [١] :

هذا الكتاب ، أحد الكتابين اللذين أرسلهما ملك القسطنطينية للخليفة عبد الرحمن الناصر . وقد ألفه باللاتينية باولوس أوروسيوس[٢] Paulus Orosius المؤرخ الاسبانى الذى عاش فى القرن الرابع والخامس بعد الميلاد ، وكان من ضمن ما ذكره ملك القسطنطينية فى رسالته إلى عبد الرحمن الناصر عن هذا الكتاب — كما يقول ابن جلجل — فى مقدمة تفسير أسماء الأدوية المفردة لديسقوريدس .

« أما كتاب هروشيوش ، فعندك فى بلدك من اللاطينيين من يقرؤه باللسان اللاطينى ، وإن كاشفتهم عنه ، نقلوه لك من اللاطينى إلى اللسان العربى » .

وقد ذكر ابن خلدون (ج ٢ ص ٨٨) الذى ينقل كثيراً عن كتاب هروشيوش ، أن الذى ترجمه للحكم المستنصر من بنى أمية ، (٣٥٠ — ٣٦٦ ﻫ) : قاضى النصارى وترجمانهم بقرطبة ، وقاسم ابن أصبغ . ثم يعود فيذكر (ج ٢ ص ١٩٧) أخباراً عن (ابن كريون Ben Gorion) [يوسيفوس اليهودى المؤرخ] ويقارن به ما ينقله من أخبار هروسيوس . ويبين الخلاف بينهما فى تحقيق بعض المدد الزمنية ، فيقول عن كلام هروسيوس : « وخبر هروسيوس مقدم ، لأن واضعيه [مترجميه] مسلمان . كانا يترجمان لخلفاء الإسلام بقرطبة ، وهما معروفان . ووضعا الكتاب » .

---

(١) عنوان هذا الكتاب باللاتينية *Historiea adversus paganos.*

(٢) يرد هذا الاسم فى الكتب العربية على صور مختلفة . منها : أروسيوس ، هروسيوس ، هروسيس ، ويرد أيضاً عند الأندلسيين بهذه الصور بإبدال السين شيناً كعادتهم فى نطق هذا الحرف .

ومن هذا يتضح أن الكتاب ترجم فى زمن الحكم المستنصر ، وقد كان ابن جلجل ممن خدموا فى دولته وحظوا عنده .

وأهمية هذا الكتاب فى تاريخ العلم ، أنه من أوائل النصوص اللاتينية ، التى ترجمت إلى العربية ، إن لم يكن أولها . ويعتبر ابن جلجل أول مؤرخ إسلامى ، استفاد من الترجمة العربية ونقل منها فى كتابه بعض النصوص . والنص الذى حفظه لنا ابن أبى أصيبعة ، عن دخول هذا الكتاب إلى الأندلس — نقلا عن ابن جلجل نفسه — قد شغل بعض العلماء والباحثين فى العصر الحاضر . وأولهم ، المستشرق العظيم سلفستر دى ساسى ، فى نشرته لرحلة عبد اللطيف البغدادى [١] ، فقد ضمن تعليقاته على هذه الرحلة هذا النص من كلام ابن جلجل ، نقلا عن ابن أبى أصيبعة .

ثم وضع أخيراً العلامة المستشرق الأستاذ دلاڤيدا ، بحثاً قيما باللغة الإيطالية [٢] ، عن النسخة الوحيدة من الترجمة العربية لكتاب هروسيوس ، المحفوظة بمكتبة جامعة كولومبيا بنيويورك تحت رقم "X, 893.712" .

ويقول الأستاذ دلاڤيدا فيه : إنه لا يرى داعياً للشك ، فى ورود الأصل اليونانى لكتاب الحشائش لديسقوريدس إلى الأندلس ، ولكنه يستبعد إهداء كتاب هروسيوس إلى عبد الرحمن الناصر ، لأنه يستبعد أيضاً وجود مخطوطات لاتينية فى الدولة البيرنطية (القسطنطينية) فى القرن العاشر [الميلادى] بالرغم من أن هذا ليس مستحيلا . ويرى أيضاً ، أن قصة إرسال هذا الكتاب إلى الأندلس ، من المحتمل أنها أضيفت بمناسبة إرسال كتاب الحشائش . وذلك عقب « الضجة » التى ظهرت فى بلاد الأندلس ، بعد حدوث ترجمة عربية لكتاب ديسقوريدس . ذلك الحدث الذى كان لا يزال ماثلا فى أذهان الناس فى ذلك الحين تقريباً .

ويناقش الأستاذ دلاڤيدا ، ما ذكره ابن خلدون من أن كتاب هروشيوش .

---

(١) هذه الرحلة تسمى : « الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المعاينة بأرض مصر لموفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى المتوفى سنة ٦٢٩ هـ » طبعت فى باريس بعناية سلفستر دى ساسى سنة ١٨١٠ م . وطبعت طبعات أخرى فى مصر وأوروبا .

(٢) G. Levi della Vida : *La Traduzione araba delle storie di Orosio* (*Miscellanea G. Galbiati*, III, Milano, 1951) p. 185-203.

ترجمه للحكم المستنصر : قاضى النصارى ، وقاسم بن أصبغ ، الذى ولد سنة ٢٤٤ ﻫ وعمر طويلا حتى تغير حاله واختلط ذهنه من سنة ٣٣٧ ﻫ إلى أن مات سنة ٣٤٠ ﻫ (راجع ترجمة ابن أصبغ عند ابن الفرضى ١ : ٢٩٧).

وفى هذا يتساءل الأستاذ دلاڤيدا ، هل كان من الممكن ، أن يعتنى قاسم بن أصبغ ، بترجمة مؤلف ضخم إلى درجة ما ، دخل الأندلس فى سنة ٣٣٧ ﻫ [وهى السنة التى بدأ يتغير فيها حاله ويختلط ذهنه] أو فى السنة التى قبلها ؛ ! ثم يعقب على ذلك بقوله ، إن من المظنون أن العمل الذى قام به قاسم بن أصبغ كان قبل ذلك بسنوات . أيام ولاية الحكم المستنصر للعهد .

ثم يناقش أيضاً ، ما ذكره ابن خلدون مرة ، من أن مترجمى الكتاب هما : قاضى النصارى بقرطبة . وقاسم بن أصبغ . ومرة أخرى ، من أنهما مسلمان كانا يترجمان لخلفاء الإسلام بقرطبة . ويقول إنه ليس من المؤكد معرفة من هو قاضى النصارى المذكور؟ ويرى أنه لم يكن مسلماً ، كما جاء عند ابن خلدون . ثم يقول أيضاً ، كثيراً ما تذكر المصادر العربية الأندلسية أن قاضى النصارى ، نصرانى . وفى رأيه ، أنه كان من رجال الدين المسيحيين ، بالرغم من أن البعض فكر عكس هذا . ويذكر بعد ذلك إسمين لقاضيين من هؤلاء القضاة النصارى (ورد اسماهما عند سيمونيت[1] Simonet) هما : حفص بن ألبر . والوليد بن خيزران (أو ابن مغيث) . ويقول إن الأخير كان معاصراً للحكم المستنصر . ومن المظنون أنه هو الذى شارك قاسم بن أصبغ فى هذا العمل . ولا شك أن التعاون بينهما ، كان فى حدود أن الأول بما له من دراية بالتراث اللاتينى الكلاسيكى ، وباللغة اللاتينية ، أقدر على الترجمة . وأما الثانى فإنه وضع هذه الترجمة ، فى قالب عربى ، وصيغة عربية مقبولة لدى جمهور المسلمين فى هذا العصر .

ويرى الأستاذ دلاڤيدا ، أن آثار هاتين المهمتين المقسمتين بينهما ، تظهر فى النص العربى المخطوط فى جامعة كولومبيا ، الذى هو منقول عن نص إسبانى (أندلسى) ، وذلك يوضح أن النص العربى ، له خاصية تظهر صلته بالإسبانية الأندلسية .

---

(١) F. J. Simonet, *Glosario de voces ibéricas y latinas usadas entre los mozárabes,* Madrid, 1888.

هذه هى خلاصة البحث القيم للأستاذ دلاڤيدا عن قصة ترجمة كتاب أوروسيوس إلى العربية . ولكننا بازاء ما يذكره ابن جلجل عن خبر دخول هذا الكتاب إلى الأندلس . وما نقله فى كتابه « طبقات الأطباء » من الأخبار والنصوص ، لا نرى داعياً لاستبعاد إرسال هذا الكتاب إلى الأندلس . فقد كان ابن جلجل ، معاصراً لهذه الحقبة من الزمن ، ولم يكن بعيد العهد بهذه الأحداث العلمية الخطيرة ، حتى يذكر خبراً هاماً مثل هذا ، بدون أن يكون قد وقع فعلا . بل إنه أسهم بنفسه فى هذه الأحداث العلمية واشترك فيها .

أما ملاحظات الأستاذ دلاڤيدا الدقيقة ، عن قصة الترجمة التى قام بها قاسم ابن أصبغ وقاضى النصارى ، فإننا لو قبلناها على إطلاقها كما وردت عند ابن خلدون ، فلا أرى مانعاً من أن تكون الترجمة حدثت للحكم المستنصر ، وهو ولى العهد ، كما يظن الأستاذ دلاڤيدا . فقد اشتهر الحكم أثناء ولايته للعهد بنشاطه العلمى ، ورغبته فى جمع الكتب واستجلابها من المشرق ، والتشجيع على وضع المصنفات . ولا مانع عندى ، من أن تتم هذه الترجمة فى السنة التى ورد فيها هذا الكتاب . أى سنة ٣٣٦ ﻫ ، كما ذكر ابن خلدون أو فى سنة ٣٣٧ كما « حسب » ابن جلجل ، لأنه حتى هذه السنة ، لم يكن قاسم بن أصبغ ، قد تغير حاله واختلط ذهنه ، لا سيما وأن كتاب أروسيوس لم يكن فى حاجة إلى انتظار من يترجمه ، ككتاب ديسقوريدس الذى تأخرت ترجمته إلى سنة ٣٤٠ ﻫ ، لأن أصله كان يونانياً ، ولم يكن فى الأندلس من يترجم من اليونانية . أما كتاب أروسيوس فقد ورد على أصله اللاتينى ، وهى لغة منتشرة بين الأندلسيين (الإسبانيين) . ولا داعى البتة لتأخير هذه الترجمة .

والواقع أن الترجمة العربية لكتاب أورسيوس لم يكتب لها الانتشار والرواج بين المؤرخين العرب ، فقد كانت أقل حظاً مما كان ينتظر لها ، إلا أننا نجد أن أول من نقل عنها واستفاد منها هو « ابن جلجل » . ولا غرابة فى ذلك فقد تمت الترجمة العربية فى عصره كما سبق . ثم نرى بعد ذلك بعض النقول منه فى كتاب « عيون الأنباء » لابن أبى أصيبعة وكتاب « إخبار العلماء للقفطى » ، ومن المؤكد أنهما لم يريا الكتاب ، ولم ينقلا عنه مباشرة . وإنما عرفاه من نقول ابن جلجل عنه . ولا أدل على ذلك من أن التقول التى وردت عندهما من أورسيوس ، هى بنصها التى عند

ابن جلجل ، وأحياناً ينسبان النقل عنه . ثم نرى بعد ذلك أن ابن خلدون (المتوفى سنة ٨٠٨) يعتمد كثيراً على هذا الكتاب . وينقل منه نصوصاً كثيرة ومطولة فى تاريخ العالم القديم ودوله ، كالفرس ، واليونان ، والرومان ، واليهود ، والمصريين وغيرهم . ثم نجد بعد ذلك أيضاً بعض النقول من هذا الكتاب عند المقريزى (المتوفى سنة ٨٤٥) ، وهو يذكر فى بعض المواضع أنه ينقل من « ترجمة كتاب هروشيوش الأندلسى ، فى وصف الدول والحروب » .

ومن العجيب أن الخبر الوحيد ، عن ترجمة هذا الكتاب ، واسمى مترجميه ، لم يرد إلا عند ابن خلدون فقط ، أى بعد أربعة قرون ونصف تقريباً من ترجمته إلى العربية ، وفى هذه الفترة الطويلة لم يتعرض مؤرخ ما ، لذكر أسماء من ترجمه . وربما كانت النسخة التى اعتمد عليها ابن خلدون تحمل هذه الأسماء ؟ ! ومن سوء الحظ أن النسخة التى وصلت إلى عصرنا من ترجمة هذا الكتاب المحفوظة فى مكتبة جامعة كولومبيا — وهى بخط أندلسى جيد — تنقص من أولها ورقة أو ورقتين ، وهما اللتين كانتا من المرجح أن نجد بهما عنوان الكتاب وأسماء من ترجموه ، ثم المقدمة التى ربما قدمت إلينا بعض المعلومات فى هذا الموضوع ، كما أن بالنسخة نقصاً لا بأس به من آخرها ذهبت معه خاتمة الكتاب التى تحتفظ عادة بتاريخ النسخ واسم الناسخ . ومن المظنون أنها كتبت فى القرن الثامن الهجرى تقريبـاً .

كتاب يرونم الترجمان :

هذا الكتاب من أهم الكتب التى ألفها سفرونيوس يوسبيوس ايرونيموس ، وهو أحد علماء الكنيسة اللاتينية فى عصره ، ويعد خير كتابها . ولد من أسرة مسيحية فى (ستريدون Stridon) فى دلماسيا سنة ٣٣١ م ، أو بين سنة ٣٤٠ — ٥٠ م وتوفى فى بيت لحم سنة ٤٢٠ م . واشتهر باسم القديس ايرونيم St. Jérome ، وقد كان أصل هذا الكتاب باليونانية من تأليف يوسبيوس القيسرانى ، أسقف قيسارية وسماه « خرونيقون » [Chronica] ، فنقله القديس ايرونيم إلى اللاتينية وزاد فيه كثيراً ، فأصبح المرجع الرئيسى للأحداث التاريخية القديمة .

وقد ترجم هذا الكتاب من اللاتينية إلى العربية قبل عصر ابن جلجل ، وكان

عنوان هذه الترجمة ، كما عرفنا ابن جلجل ، «كتاب القروانقة ليرونم الترجمان» .

وقد بحثت طويلا فى كثير من الكتب التى انتفعت بمثل هذا النوع من التآليف ، فلم أجد من نقل عنه أو استفاد منه أو ذكره . وكم كانت فرحتى عندما علمت بوجود قطعة [1] من كتاب قديم — محفوظ فى مكتبة الجامع الكبير بالقيروان — ذكر فيها عبارة : «قال يرونم العالم الترجمان» فاتجه الظن إلى أنها قطعة من الترجمة العربية لهذا الكتاب . ولكن بدراسة هذه القطعة ، وبها الكثير من تاريخ العالم القديم ومن النصوص المشابهة لما ورد عند ابن جلجل ، وجدت أن بها تاريخاً لبعض الأحداث فى صدر الإسلام ، وفى فتح الأندلس ، فأصبح من المؤكد أنها ليست من ترجمة يرونم لكتاب «خرونيقون» ولا صلة لها به أكثر من ذكر اسم «يرونم العالم الترجمان» فى ثناياها ، وأغلب الظن أن صاحب هذا الكتاب الذى بقيت لنا منه هذه القطعة ، نقل من الترجمة العربية لكتاب يرونم الترجمان ، فيمن نقل عنهم .

ومن هذا يمكننا أن نقول : إن الترجمة العربية لكتاب يرونم الترجمان لم يذكرها من المؤرخين المسلمين سوى ابن جلجل ، وصاحب هذا الكتاب المحفوظ فى القيروان ، حتى أن ابن خلدون الذى نقل عن كتب كثيرة مترجمة من أصول لاتينية ويونانية كابن جريون وهروسيوس وابن العميد وابن العبرى وغيرهم ، لم يذكر هذا الكتاب أبداً . ويظهر لسوء الحظ أن هذه الترجمة العربية فقدت مبكراً ، ولم تتداول بين أيدى العلماء .

وفى مختصر تاريخ الدول لابن العبرى[2] نقول متفرقة من هذا الكتاب منقولة مباشرة عن الأصل اليونانى الذى ألفه يوسبيوس القيسرانى . ويسميه ابن العبرى «خرونيقون» كما يسمى مولفه «أوسابيوس القيصرانى» وفى عيون الأنباء[3] نقول أخرى منه .

---

(١) دلنى على هذه القطعة أستاذنا الجليل السيد حسن حسنى عبد الوهاب باشا مؤرخ الديار التونسية وعضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وتفضل حفظه الله فوافانى بصورة فوتوغرافية لهذه القطعة ، وهى تقع فى ٨٨ صفحة بخط أندلسى قديم ، ربما كان من خطوط القرن الرابع أو الخامس الهجرى . ومحفوظة بمكتبة جامع عقبة بن نافع (الجامع الكبير) فى القيروان .

(٢) أنظر مختصر تاريخ الدول لابن العبرى ص ٤٣ ، ٤٨ ، ٥١ ، ٦٢ ، ١٢٩ .

(٣) عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة ج ١ : ٧٢ ، ٧٣ .

وقد نشر هذا الكتاب على أصله اليونانى مع ترجمة القديس إيرونيم بعناية القس مينى Migne ضمن كتب الآباء اللاتين Patrologia Latina جـ ٢٢ – ٣٠ . كما نشره Fatheringham سنة ١٩٢٣ .

كتاب إيسيدور الإشبيلى :

لم يقدم لنا ابن جلجل فى كتابه نقولا من هذا الكتاب سوى نص واحد ورد فى ص (٤١) ضمن ترجمة جالينوس وذكر أن اسمه : « بشير الإشبيلى المطران » وقد أخذ ابن أبى أصيبعة هذا النص بعينه عن ابن جلجل وعزاه إليه . وذكر الاسم عنده : « لشيذر[1] الإشبيلى . وبقليل من الإمعان نرى أننا لو أبدلنا « اللام » ألفاً لصار الاسم « إشيذر » — والأندلسيون يبدلون السين شيناً — واقتران هذا الاسم بعبارة « الإشبيلى المطران » لا تدع لنا مجالا للشك فى أنه إيسيدور الإشبيلى أسقف أشبيلية (Isidorus Sevillensis) صاحب المؤلفات الكثيرة ، الذى عاش من سنة ٥٧٠ — ٦٣٦ م . ومن أهم مؤلفاته كتاب Etymologiae أى « الأصول أو الاشتقاق » . وقد نشر ضمن بقية أعماله فى مجموع الآباء اللاتين Patrologia Latina جـ ٨٢ .

ومن المرجح أن اسم « بشير » الذى جاء فى مخطوطة ابن جلجل ، كان من تصحيفات الناسخ . ويصوبه ما نقله ابن أبى أصيبعة — كما ذكرت — من النسخة التى كانت لديه من كتاب ابن جلجل .

ولم أجد أحداً من المؤلفين ، ذكر ترجمة عربية لأى كتاب من كتب إيسيدور الاشبيلى . ولا يمنعنا ذلك من أن نقول : إنه كانت توجد فى عصر ابن جلجل ترجمة عربية لهذا الكتاب استفاد منها ونقل عنها . فقد عهدنا أن جميع النصوص التى اقتبسها ابن جلجل ، كانت كلها من كتب عربية ، سواء كانت موضوعة أو مترجمة . — ولم يذكر ابن جلجل عن نفسه ، أو من ترجم له ، أنه كان يعرف اللغة اللاتينية — ولسوء الحظ أننا لا نعلم شيئاً عن هذه الترجمة العربية لكتاب إيسيدور التى لم يحفظ لنا منها ابن جلجل سوى نص واحد ؟ !

---

(١) راجعت هذا الاسم فى النسخ المخطوطة من عيون الأنباء فوجدته مطابقاً للنسخة المطبوعة .

كتب أخرى مختلفة :

– فى ترجمة أقليدس عند ابن جلجل (ص ٣٩) نجد خبراً منقولا عن الكندى . ويقول عنه : « هكذا حكى أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى فى بعض رسائله على ما حكيت نصاً » .

وقد ورد هذا الخبر أيضاً فى ترجمة أقليدس عند ابن النديم وصاعد والقفطى . نقلا عن الكندى أيضاً . ولكن يلاحظ وجود خلاف فى العبارة بين هذه النقول . وقد انفرد ابن النديم عند إيراده هذا الخبر (ص ٢٦٦) ، بأنه نقله من « رسالة الكندى فى أغراض كتب أقليدس » .

– فى ترجمة يوحنا بن البطريق (ص ٦٧) . أخبار عن قيامه بترجمة كتاب السياسة لأرسطو ، ولم ترد هذه الأخبار عند من ترجموا ليوحنا إلا نقلا عن ابن جلجل . الذى اقتبسها من مقدمة الترجمة العربية لهذا الكتاب [1] . وقد نقل أيضاً من هذا الكتاب ، بعض الأخبار فى ترجمة أرسطو والاسكندر (ص ٢٦) .

– ومن الكتب التى رجع إليها ابن جلجل أيضاً ونقل عنها بعض النصوص . مؤلفات أفلاطون وبقراط وجالينوس . وقد ذكر منها :

١ – عهد بقراط (ص ١١ و ١٢ و ١٧) .
٢ – النواميس لأفلاطون (ص ١٢) .
٣ – الأمراض العسرة البرء لجالينوس (ص ٤٣) .
٤ – قاطاجانس لجالينوس (ص ٤٣) .
٥ – كتاب : ينبغى للطبيب أن يكون فيلسوفاً لجالينوس (ص ١٧) .
٦ – الأدوية الطبية لجالينوس (ص ٤٢) .

ومن هذا الثبت المذكور يتضح لنا أن كثيراً من كتب العلوم والطب التى ترجمت عن أصولها اليونانية فى المشرق . قد انتقلت إلى الأندلس فى زمن عبد الرحمن الناصر – كما يذكر ابن جلجل – أو قبله بقليل . وأنها كانت موضع دراسة المشتغلين

---

(١) نشر هذه الترجمة أخيراً الأستاذ الدكتور عبد الرحمن بدوى ضمن كتابه « الأصول اليونانية »

بالعلم — وخاصة الأطباء — كما أنه يبدو لنا من مؤلفات بعض أطباء أفريقيه كاسحاق ابن سليمان الإسرائيلى وابن الجزار وغيرهما — وكلهم ممن عاش فى القرن الرابع — أن كثيراً من مؤلفات بقراط وجالينوس وغيرهم من الأطباء القدماء التى ترجمت إلى العربية ، قد وصلت إليهم واستفادوا منها وذكروها فى مؤلفاتهم [1] وأن دخول هذه الكتب إلى أفريقية كان فى الوقت الذى دخلت فيه إلى الأندلس تقريبا .

والآن بعد أن بينا المصادر التى اعتمد عليها ابن جلجل ، واقتبس منها . ننتقل إلى الحديث عن مصادره بالرواية والسماع .

ب — الأخبار المروية بالسماع :

نجد عند ابن جلجل كثيراً من الأخبار التى انفرد بها ونقلها عنه من جاء بعده من مؤرخى الأطباء . وقد وصلت هذه الأخبار إليه من طريق السماع ممن عاصره من العلماء . وبعض هذه الأخبار وردت فى تراجم كثير من الأطباء ممن عاشوا بعد الإسلام فى المشرق أو فى أفريقية ، ولم ترد عند أحد من المشارقة قبله أو ممن عاصره ، حتى أن من بعده من المؤرخين عرفوها عن طريقه . وقد كان اعتماده فى تراجم المشارقة على العلماء المعاصرين له ، الذين رحلوا إلى المشرق وعادوا إلى الأندلس بالكثير من المعلومات والأنباء . وفى تراجم أهل أفريقية ، اعتمد على من رحل إلى هذا القطر ، ثم عاد إلى الأندلس يحكى ما رآه وما علمه هناك من أنباء هؤلاء الأطباء . ويمكننا أن نذكر هؤلاء العلماء الذين أخذ عنهم ابن جلجل معارفه وضمنها كتابه ، وهم :

١ — أحمد بن يونس الحرانى : عاصر ابن جلجل وزامله فى خدمة الحكم المستنصر ، والمؤيد هشام بن الحكم . وكانت له رحلة إلى المشرق مع أخيه عمر بن يونس سنة ٣٣٠ هـ وعادا إلى الأندلس سنة ٣٥١ . ويذكر ابن جلجل فى عدة

---

(١) راجع كتاب « البول » لاسحاق بن سليمان منه نسخة خطية رقم ٣١١ طب فى الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية وراجع أيضاً كتاب « زاد المسافر وقوت الحاضر » لابن الجزار منه نسخ كثيرة فى مكتبات العالم .

مواضع من كتابه بعض الأخبار. ويقول عنها : حدثنى — أو أخبرنى — بها أحمد ابن يونس [1] .

٢ — أبو زكريا يحيى بن مالك بن عايد بن كيسان ويعرف بالعايدى من أهل طرطوشه ولد سنة ٣٠٠ ورحل إلى المشرق سنة ٣٤٧ وحج سنة ٣٤٨ ، ودخل مصر وبغداد والبصرة والأهواز . . . . وجمع علماً عظيما لم يجمعه أحد قبله من أصحاب الرحل إلى المشرق . وتردد بالمشرق نحواً من اثنتين وعشرين سنة . وقدم الأندلس فى سنة ٣٦٩ ، فسمع منه ضروب من الناس وطبقات طلاب العلم وأبناء الملوك وجماعة من الشيوخ والكهول . وكان يملى فى المسجد الجامع [بقرطبة] فى كل يوم جمعه . . . . روى من الأخبار والحكايات ما لم يكن عند غيره . ولا أدخله أحد الأندلس قبله . وتوفى سنة ٣٧٥ هـ [2] .

ولا شك أن ابن جلجل — وقد عاصره — قد استفاد من معلوماته كثيراً عن المشرق . وهو يذكره فى ترجمة سعيد بن عبد ربه (ص ١٠٥) بقوله « وأنشدنى العايدى » ثم يورد الأبيات التى أنشده إياها .

٣ — سليمان بن أيوب الفقيه — أحد شيوخ ابن جلجل توفى سنة ٣٧٧ — يذكر المؤلف فى ص ١٠٤ أخباراً حدثه بها شيخه هذا عن الطبيب سعيد بن عبد ربه . . .

٤ — أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطيه أحد شيوخ ابن جلجل . توفى سنة ٣٦٧ . وقد نقل عنه المؤلف (ص ٦١) خبراً هاماً جداً عن ترجمة ماسرجويه لكناش أهرن القس . حدثه به فى مسجد القرمونى سنة ٣٥٩ هـ .

٥ — محمد بن عبدون الجبلى العدوى الطبيب . ترجم له ابن جلجل ص (١١٥) رحل إلى المشرق سنة ٣٤٧ ، ودخل البصرة . والفسطاط ودبر مارستانها ، ورجع إلى الأندلس سنة ٣٦٠ . وزامل ابن جلجل فى خدمة الحكم المستنصر وابنه المؤيد هشام . ولا شك أنه أمد زميله بالكثير من المعلومات التى ظفر بها فى المشرق .

---

(١) راجع ص ٨٠ ، ٨١ ، ١١٣ من هذا الكتاب .

(٢) ابن الفرضى ٢ : ٥٨ — ٥٩ ، وتكملة الصلة طبع مدريد سنة ١٩١٥ ص ٥ .

٦ — أبو حفص عمر بن بريق الطبيب . ترجم له ابن جلجل (ص ١٠٧) . كانتْ له رحلة إلى القيروان (أفريقية) وتتلمذ هناك على أبى جعفر بن الجزار ولازمه ستة أشهر. وعاد إلى الأندلس . وأدخل معه كتاب « زاد المسافر » لابن الجزار المذكور. ومن المرجح أنه الذى أمد ابن جلجل بالتراجم الثلاث لأطباء أفريقية الذين ذكرهم فى كتابه .

تلك هى مصادر ابن جلجل التى ضمنها كتابه بالنقل أو السماع ، قدمناها بشىء من الإسهاب ، لنعين بذلك على معرفة الطريقة التى سلكها المؤلف فى تأليف كتابه . وإن كنا نأسف على أن ما حفظه لنا من نصوص هذه المصادر — وخاصة الكتب التى نقل عنها — شىء قليل . إلا أنها دلتنا على كتب لاتينية هامة ترجمت إلى العربية فى زمن متقدم وفقدت ترجماتها . ولم يعرف عنها شىء إلا هذا القدر الذى قدمه لنا ابن جلجل فى هذا الكتاب .

ملاحظات حول بعض النصوص

ورد عند ابن جلجل بعض النصوص الهامة فى تاريخ العلوم . وقد تفرد بإيرادها ، نقلا عما بلغه من طريق السماع والرواية . ومن هذه النصوص :

١ — ما جاء فى ترجمة ماسرجويه [1] ، الطبيب البصرى الذى عاش فى الدولة الأموية وتولى أيام مروان بن الحكم (٦٤ — ٦٥ ﻫ) — ترجمة كتاب « أهرن بن أعين القس » إلى العربية ، وكان أهرن من الأطباء الذين عاشوا فى الاسكندرية فى عصر هرقل (٦١٠ — ٦٤١ م) فى صدر الإسلام ووضع كناشه باللغة اليونانية ثم نقله إلى السريانية . إلى أن قام بترجمته إلى العربية ماسرجويه المذكور .

وقد ذكر ابن جلجل فى هذه الترجمة ، أن الخليفة الأموى عمر بن عبد العزيز (٩٩ — ١٠١ ﻫ) وجده فى خزائن الكتب (الأموية) ، وأنه استخار الله فى إخراجه إلى المسلمين ، وبثه فى أيديهم . ويذكر أيضاً ، أن أبا بكر محمد بن عمر بن

---

[1] ص ٦١ من هذا الكتاب .

عبد العزيز ، هو الذى حدثه بهذه الحكاية فى مسجد القرمونى بالأندلس سنة ٣٥٩ هـ .

وهـذا النص على أهميته لم يذكره ابن النديم ، الذى حفظ لنا أهم الأخبار فى تاريخ العلوم والترجمة ، كما أنه لم يرد فى كتب التاريخ ، وظل مجهولا عند المشارقة ، حتى عرفه الناس من ابن أبى صيبعة ، والقفطى وابن العبرى نقلا عن ابن جلجل ، كما يذكرون .

واهتم العلماء المعاصرون ، بهذا النص اهتماماً كبيراً ، وأدركوا مدى قيمته فى قدم حركة النقل والترجمة فى صدر الدولة الأموية ، وعرفوا منه أيضاً أن الأمويين كانت لهم خزائن للكتب عامرة بالمؤلفات العربية الأصلية ، والمترجمة إليها .

ولما كان ابن جلجل ، هو المصدر الذى قدم لنا هذا الخبر ، رأيت أن أقف على صحة هذه الحكاية ومن هو محمد بن عمر بن عبد العزيز هذا الذى حدثه بها فى مسجد القرمونى ؟ وبعد البحث فى كتب التراجم — وخاصة الأندلسية — وجدت أنه محمد بن عمر بن عبد العزيز بن ابراهيم بن عيسى بن مزاحم المشهور بابن القوطية أحد شيوخ ابن جلجل ، واطمأنت نفسى إلى صدق هذا الخبر عند ما وجدت أن « القوطية » — وكانت من أبناء ملوك الأندلس — هى أم ابراهيم بن عيسى ابن مزاحم المذكور ، « وفدت على الخليفة هشام بن عبد الملك ، متظلمة من بعض أعمامها بالأندلس ، فتزوجها عيسى بن مزاحم ، أحد موالى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، وسافر معها إلى الأندلس ، فكان ذلك سبب انتقال عيسى ابن مزاحم إلى الأندلس وإنساله بها [1] » .

بعد هذا وضح الأمر ، وثبت أن هذا النص الخطير الهام ، سمعه ابن جلجل من أبى بكر ابن القوطية ، الذى يرويه عن جده عيسى بن مزاحم مولى الخليفة عمر بن عبد العزيز ، صاحب الفضل فى إخراج هذا الكتاب إلى الناس ، فدوّنه فى كتابه ، ونقله عنه بعد ذلك ابن أبى أصيبعة وابن القفطى وابن العبرى معزواً صراحة إلى ابن جلجل ، فذاع بين الناس فى المشرق والمغرب واهتم به مؤرخو العلوم فى عصرنا الحاضر .

---

(١) ابن خلكان ١ : ٥١٣

٢ — فى الكلام على الطبقة الخامسة من الحكماء الاسكندرانيين (ص ٥١) يذكر المؤلف أن أنقيلاوس الاسكندرانى ألّـف من كلام جالينوس المشهور كتاباً ، عدة مقالاته ثلاث عشرة مقالة ، وله كتاب فى أسرار الحركات ، ألفه فيمن جامع وبه علة من العلل المزمنة . . . الخ .

وقد نقل هذا الكلام ابن القفطى فى ترجمة أنقيلاوس محرفاً تحريفاً بسيطاً أدّى إلى تغيير جوهرى فى المعنى ونصه عنده : « وهو [أنقيلاوس] الذى جمع من منثور كلام جالينوس ثلاث عشر مقالة فى أسرار الحركات ألفها فيمن جامع وبه علة مزمنة . . . الخ » مما جعل الدكتور مايرهوف[1] يناقش هذا النص ، ويقول عنه ، أنه غير مفهوم على هذه الصورة ولعله من خطأ النساخ ، وينفى نسبة هذا الكتاب (أسرار الحركات) إلى جالينوس ويقول : إن هذا العنوان غير موجود فى مكان آخر .

وقد سقط من هذا الخبر عند القفطى عبارة « وله كتاب » الموجودة عند ابن جلجل والضمير فى كلمة « له » يعود على انقيلاوس كما هو مفهوم . ووجود هذه العبارة البسيطة عند ابن جلجل قد أوضح القضية وحقق الغموض الذى أدركه الدكتور مايرهوف . وبعث فى نفسه الشك .

هذه أمثلة من النصوص الهامة التى حققت لنا بعض الأخبار التاريخية التى انفرد بها ابن جلجل . وأعطتنا المصادر الأولى لهذه الأخبار الهامة فى تاريخ العلم . ولا بأس من أن نورد أيضاً أمثلة من الأوهام التاريخيــة التى أوردها المؤلف ، فمثــلا :

١ — الخبر عن حنين بن اسحاق . وأنه لزم الخليل بن أحمد النحوى بأرض فارس ، وأنه أدخل كتاب العين بغداد . وهذا ولا شك من الأوهام الكبيرة . فان الخليل بن أحمد توفى نحو سنة ١٧٠ هـ[2] أى قبل أن يولد حنين فى سنة ١٩٤ هـ .

---

(١) التراث اليونانى ترجمة الدكتور عبد الحميد بدوى ص ٤٧

(٢) ورد فى صفحة ٦٨ أن وفاة الخليـل سنة ٢٧٠ وهو خطأ مطبعى والصواب سنة ١٧٠

٢ — الأخبار التى ذكرها المؤلف فى ترجمة « أبو يوسف يعقوب بن اسحاق الكندى » انفرد بها ابن جلجل ، ولم ترد عند أحد من المؤرخين قبله . وإنما نقلها من بعده ونسبها إليه ، وفى هذه الترجمة أن أصل الكندى « بصرى » وأن جده ولى الولايات لبنى هاشم ، وإجماع المؤرخين على أن الكندى « كوفى » وأن الذى ولى الولايات لبنى هاشم والده « إسحاق بن الصباح » . ومنها أيضاً أن من مؤلفاته كتاب « الجغرافيا فى معرفة الأقاليم المعمورة وغيرها » وليس هذا الكتاب للكندى ، وإنما هو من مؤلفات « بطلميوس ، ونقله الكندى إلى العربية نقلا جيداً »[1] .

٣ — فى ترجمة يوحنا بن ماسويه (ص ٦٥) ، أن هارون الرشيد قلده ترجمة الكتب القديمة مما وجد بأنقره وعمورية وبلاد الروم . وإجماع كتب التراجم على أن يوحنا دخل بغداد فى زمن المأمون — أى بعد وفاة الرشيد — وخدمه وخدم المعتصم والواثق والمتوكل ، ومات فى عصره ، كما أن فتح أنقرة وعمورية كان فى زمن المعتصم سنة ٢٢٣ هـ .

نصوص ذكر فى بعض الكتب أنها منقولة من كتاب ابن جلجل ، ولا توجد فى نسختنا

١ — ورد فى عيون الأنباء لابن أبى أصيبعة فى ترجمة الحارث بن كلدة (ج . ١ : ١١٣) نص منسوب إلى ابن جلجل وهو :

« وقال سليمان بن جلجل . أخبرنا الحسن بن الحسين ، قال أخبرنا سعيد بن الأموى ، قال أخبرنا عمى محمد بن سعيد بن عبد الملك بن عمير ، قال : كان أخوان من ثقيف من بنى كنة يتحابان ، لم ير قط أحسن ألفة منهما ، فخرج الأكبر إلى سفر ، فأوصى الأصغر بامرأته ، فوقعت عينه عليها غير متعمد لذلك ، فهو بها وضنى ، وقدم أخوه ، فجاء بالأطباء ، فلم يعرفوا ما به ، إلى أن جاءه

---

(١) انظر ص ٧٣ من هذا الكتاب . وانظر أيضاً القفطى ص ٩٨

بالحارث بن كلدة فقال : أرى عينين محتجبتين ، وما أدرى ما هذا الوجع ، وسأجرب ، فاسقوه نبيذاً ، فلما عمل النبيذ فيه قال :

ألا رفقا ألا رفقا　　قليلا ما أكوننه
ألما بى إلى الأبيا　　ت بالخيف أزرهنه
غزالا ما رأيت اليو　　م فى دور بنى كنه
أسيل الخد مربوب　　وفى منطقه غنه

فقالوا له : أنت أطب العرب . ثم قال : ردوا النبيذ عليه ، فلما عمل فيه قال :

أيها الجيرة اسلموا　　وقفوا كى تكلموا
وتقضّوا لبانة　　وتحيّوا وتنعموا
خرجت مزنة من البحـ　　ـر ريّا تحمحم
هى ما كنتى　　وتزعم أنى لها حم

قال : فطلقها أخوه ، ثم قال : تزوج بها يا أخى ، فقال والله لا تزوجتها ، فمات ، وما تزوجها » .

هذا النص الذى انفرد ابن أبى أصيبعة به ونسبه إلى ابن جلجل ، لم يرد فى نسختنا . ولست أملك أن أستبعد نسبته إلى ابن جلجل . إلا أننى أجد من بعض القرائن ما يجعلنى أرجح أن ابن أبى أصيبعة وهم فى نسبته إليه . يؤيد هذا :

١) — أن هذا النص لم يرد عند أحد ممن نقلو عن ابن جلجل .

٢) — لم يرد فى مسالك الأبصار للعمرى مع العلم أن ما نقله العمرى فى أخبار الأطباء — من مؤلفات غيره — كان مصدره فيه طبقات ابن أبى أصيبعة .

٣) — لم يؤثر عن ابن جلجل فى كتابه ، أن يورد أخباراً بطريق السند كهذا الخبر الذى يقول فيه : « أخبرنا سليمان بن جلجل ، أخبرنا الحسن بن الحسين [الأزدى][1] ، قال أخبرنا سعيد بن الأموى ، قال أخبرنا عمى محمد بن سعيد عن عبد الملك بن عمير قال : . . . . »

---

(١) زيادة من الأصل المخطوط لابن أبى أصيبعة

وليس فى كتاب ابن جلجل خبر واحد ورد بطريق الإسناد والعنعنة ، وإنما كانت عادته فى مثل ذلك ، أن ينسب الخبر إلى شخص واحد بعينه من معاصريه ، بطريق السماع منه أو الرواية عنه .

٤) – راجعت أسماء رجال هذا السند فى جميع المصادر الأندلسية المعروفة فلم أجد لهم ذكراً فيها .

٢ – يذكر ابن خلكان (٢ : ١٠٣) فى ترجمته لأبى بكر محمد بن زكريا الرازى خبرين منقولين عن ابن جلجل . وأولها ورد فى الكتاب فعلا ، أما ثانيهما فلم يرد فى الكتاب . وهذا نصه : « وحكى ابن جلجل المقدم ذكره فى تاريخه أيضاً ، أن الرازى المذكور صنف لمنصور المذكور [منصور بن نوح السامانى] كتاباً فى إثبات صناعة الكيميا ، وقصده به من بغداد ، فدفع له الكتاب ، فأعجبه وشكره عليه وحياه بألف دينار ، وقال له : أردت أن تخرج هذا الذى ذكرت فى الكتاب إلى الفعل ، فقال له الرازى : إن ذلك مما تتمون له المؤن ، ويحتاج إلى آلات وعقاقير صحيحة ، وإلى إحكام صنعة ذلك كله ، وكل ذلك كلفة ، فقال له منصور : كل ما احتجت إليه من الآلات ، ومما يليق بالصناعة ، أحضره لك كاملا حتى تخرج ما ضمنته كتابك إلى العمل ، فلما حقق عليه ذلك ، كاع من مباشرة ذلك وعجز عن عمله . فقال له المنصور : ما اعتقدت أن حكيما يرضى بتخليد الكذب فى كتب ينسبها إلى الحكمة يشغل بها قلوب الناس ، ويتعبهم فيما لا يعود عليهم من ذلك منفعة ، ثم قال له : قد كافأناك على قصدك وتعبك بما صار إليك من الألف دينار ، ولا بد من معاقبتك على تخليد الكذب ، فحمل السوط على رأسه ، ثم أمر أن يضرب بالكتاب على رأسه ، حتى يتقطع ، ثم جهزه وسيره إلى بغداد ، فكان ذلك الضرب سبب نزول الماء فى عينيه ، ولم يسمح بقدحهما ، وقال : قد رأيت الدنيا » .

وشأن هذا الخبر الطريف كشأن سابقه . لم يرد فى نسختنا ولم يرد أيضاً عند أحد ممن نقل عن ابن جلجل . وخاصة ابن أبى أصيبعة ، الذى لم يكن يفوته مثل هذا الخبر الطريف ، بدون أن يذكره فى ترجمته المفصلة للرازى . كما أن هناك بعض الأسباب التى تجعلنا نميل إلى استبعاد نسبته لابن جلجل

وأنه لا بد وأن يكون هناك وهم أو خطأ فى وروده عند ابن خلكان . ومن هذه الأسباب :

١ — أن الرازى المتوفى سنة ٣١٣ هـ لم يعاصر منصور بن نوح السامانى الذى تولى ملكه سنة ٣٥٠ — ٣٦٠ هـ ، أى بعد وفاة الرازى بحوالى نصف قرن .

٢ — لم يذكر ابن جلجل هذا الكتاب فى ثبت مؤلفات الرازى التى ذكرها .

٣ — ذكر ابن جلجل فى ترجمته للرازى سبب عماه . «أنه نزل فى عينه ماء . . .» دون أن يعرض لهذه الحكاية التى تخالف كل المخالفة السبب الذى أورده عنده .

وما دمنا فى صدد الكلام عن أبى زكريا الرازى ، فقد جاء فى كتاب أصدره الدكتور محمود النجم آبادى بعنوان «شرح حال ومقام أبو زكريا الرازى» كلام فى صفحة ٤٦ يقول فيه : «إن الرازى سافر إلى قرطبة وغيرها» ويذكر أن مصدره فى هذا الخبر «ابن جلجل» وأن المؤرخين تابعوه فى هذه الحكاية . ثم يستبعد ذلك ولا يصدقه .

ومن الغريب أن هذه الحكاية لم ترد أيضاً عند ابن جلجل . ولم أجد عند أحد من المؤرخين من نقلها عنه — كما يذكر الدكتور النجم آبادى — الذى لم يطلع على كتاب ابن جلجل . ولم يذكره فى ثبت المصادر التى رجع إليها . كما أن جميع المؤرخين القدماء والمعاصرين لم يذكر أحد منهم أن الرازى سافر إلى قرطبة أو الأندلس . ولست أدرى من أين استقى الدكتور النجم آبادى هذا الخبر . ؟

طريقتى فى إخراج النص

اعتمدت فى تحقيق هذا الكتاب ونشره على نسخة وحيدة ، ولم أعثر على نظير لها فى مكتبات العالم — على ما بلغ إليه بحثى — وقد انتفع بهذا الكتاب قديماً ، ونقل منه كثيراً من النصوص : ابن أبى أصيبعة فى عيون الأنباء ، وابن القفطى فى إخبار العلماء ، والقاضى صاعد الأندلسى فى طبقات الأمم ، وابن العبرى فى مختصر تاريخ الدول ، وابن خلكان فى وفيات الأعيان ، وابن العمرى فى

مسالك الأبصار. وبعضهم نقل منه نصوصاً كثيرة كابن أبي أصيبعة والقفطي والعمرى وصاعد الذين اعتمدوا فى جميع تراجم الأندلسيين حتى عصر ابن جلجل على كتابه ، فضلا عما نقلوا منه من نصوص أخرى لغير الأندلسيين . وبعضهم لم ينقل عنه سوى نص واحد كابن خلكان وابن العبرى . فرأيت أن أعتبر النصوص المنقولة من ابن جلجل فى هذه الكتب ، نسخاً غير مباشرة ، صححت بها النص ، وحققت منها الخلاف الوارد فى العبارة أو اللفظ ، وقد ساعدتنى هذه المقابلة على تصحيح كثير من التصحيفات والتحريفات والأخطاء . وكانت طريقتى فى التحقيق هى :

١ ـ المحافظة على نص المؤلف كما ورد فى نسختنا ، ولم أحاول تصويب ما فيه من أخطاء ، وإنما بينت ذلك كله فى الحواشى معزواً إلى مصادره .

٢ ـ راجعت التراجم المذكورة عند ابن جلجل على نظائرها فى الكتب ، ـ وخاصة من نقل عنه ـ ولم أتعرض إلى ذكر الزيادات أو النقص فيها ، وإنما أثبت فقط بعض العبارات أو الكلمات التى يستقيم بها المعنى ويحتاجها السياق .

٣ ـ حرصت أن تكون التعليقات لبيان ما غمض من أقوال المؤلف أو لتفصيل ما أجمله من المعانى ، ولا يستقيم الفهم إلا بشىء من التفصيل لتوضيحه . وكانت عنايتى بالبحث عن تراجم الشخصيات التى ترد عرضاً فى المتن شديدة . لأن من تواريخ هذه الشخصيات يمكننا تحديد أزمان الكثير من الأخبار التى أوردها المؤلف غفلا من التاريخ . فأتيت بتراجمهم موجزة مع ذكر مصادرها . كما عنيت بالتعريف بالكتب والمصنفات الواردة فى تراجم الأطباء وتعيين أماكن وجودها فى العالم إن أمكن .

٤ ـ ألحقت بكل ترجمة تعريفاً موجزاً بصاحبها لتعيين عصره وتاريخ مولده ووفاته وذكر اسمه كاملا ـ فقد أوجز المولف فى هذا إيجازاً شديداً حتى أنه لم يذكر تواريخ الوفاة لمن ترجمهم أبداً ، مكتفياً بذكر من عاصروه من الملوك والخلفاء ـ وأتبعت ذلك بثبت المراجع التى أرخت لصاحب الترجمة وخاصة من نقل عن ابن جلجل ، مكتفياً بالمراجع التى اعتنت بطبقات الأطباء والحكماء . وأثبت أرقام الأجزاء والصفحات . وفى التعليقات أشرت إلى هذه المراجع بدون ذكر الصفحات مكتفياً ببيان ذلك فى التعريف المذكور .

٥ — حرصت على أن تكون مراجعاتى على أصول عربية مباشرة ، ولم ألجأ إلى هذه النصوص بالواسطة ، إلا إذا لم أعثر على النص الأصلى لندرته أو لفقده. وكنت إذا وقفت عند كلمة غامضة أو مبهمة ولم تتضح أيضاً فى النصوص المنقولة عن المؤلف عند ابن أبى أصيبعة والقفطى وصاعد ، رجعت إلى أصول هذه المراجع الخطية للتحقق من صحة هذه الأشياء المبهمة وأشرت بذلك فى التعليقات .

وصف المخطوطة

يقع كتاب ابن جلجل فى أول مجموعة مكونة من عدة كتب . وقد كتبت هذه المجموعة بخط مغربى على ورق أبيض مال إلى صفرة خفيفة ، وقد عنونت بعض فصوله وأبوابه بالمداد الأحمر وبعضها بالمداد الأزرق الفاتح (سماوى) أما النص فقد كتب بالمداد الأسود فى ٧٥ صفحة بكل صفحة خمسة عشر سطراً ولم يرد فى آخرها اسم الناسخ أو تاريخ الكتابة . وإنما ورد فى صفحة ١٠٨ من المجموعة — وهى كلها بخط واحد ـ أن الناسخ هو محمد بن الظريف(*) التونسى كتبها فى شهر ربيع الثانى سنة ـرلمح تى ، وهذه الرموز هى من الأرقام الحسابية المسماة « رشوم الزمام » وهى تساوى سنة ٩٩٣ هـ .

وهذا الناسخ ، هو أبو الطيب محمد بن محمد الظريف التونسى من ذرية الشيخ الصالح محمد الظريف دفين جبل المنار ، القريب من العاصمة التونسية ، وقبره هناك مزار معظم ، وكان أبو الطيب هذا واعظاً بجامع الزيتونة ، ثم لما هاجم الإسبان القطر التونسى سنة ٩٤١ هـ ، فارق أبو الطيب مسقط رأسه ، وقصد مدينة فاس ، واتخذها دار قرار ، واتصل بالأوساط العلمية والأدبية ، وحصلت له هناك حظوة وشهرة ، ومات بها ، كما يستفاد من نزهة الحادى فى أخبار القرن الحادى نقلا عن فهرست المنجور(١) .

ويلى كتاب ابن جلجل فى المجموعة ، الكتب الآتية :

١ — الفصول الحكمية والنوادر الطبية التى كتب بها يوحنا بن ماسويه إلى تلميذه حنين بن إسحاق حين انقطع عن مجلسه [كما هو مثبت بآخر هذا الكتاب] وليس

---

(١) أمدنى بهذه الترجمة العلامة السيد حسن حسنى عبدالوهاب التونسى .

(*) من هذه الأسرة شخص مترجم باسم : أحمد بن على بن إسماعيل . . . فى كتاب العقد الثمين . وذكر أنه توفى سنة ٨١١ هـ .

لهذا الكتاب أيضاً صفحة عنوان — من ص ٧٦ — ١٠٧ وبآخره اسم الناسخ وتاريخ النسخ ، وفى ذيل الصفحة الأخيرة منه عبارة : يتلوه :

٢ — كتاب طب المشايخ وحفظ صحتهم لابن الجزار ، وهذا الكتاب متصل بما قبله . وهو من ص ١٠٧ — ١٥٨ . يليه فى ذيل الصفحة الأخيرة منه بدء كتاب :

٣ — بدل العقاقير ولم يذكر له مؤلف وهو من ص ١٥٨ إلى ١٦٦ وانتهى فى آخر الصفحة ، يليه فى صفحة ١٦٧ مباشرة :

٤ — رسالة كتب بها إسحاق بن عمران المعروف بـ « سم ساعة » إلى بعض إخوانه . وهى فى تدبير الصحة من ص ١٦٧ وتنتهى فى آخر صفحة ١٧٣ وبآخرها هذه العبارة : « كمل المجموع المبارك بحول الله تعالى وقوته وصلى الله على مولانا محمد وآله . يلى ذلك مباشرة فى ص ١٧٤ :

٥ — رسالة للشيخ أبى عبد الله محمد بن يوسف السنوسى فى فضل صناعة الطب من صفحة ١٧٤ إلى ص ١٩١ وهى آخر شىء فى المجموعة .

وقد كانت هذه المجموعة فى المغرب الأقصى عند آل الصديق الغمارى ، ثم آلت أخيراً إلى خزانة الأستاذ السيد أحمد خيرى بروضة خيرى باشا بدسونس من بلاد مديرية البحيرة . وفى دار الكتب المصرية نسخة مصورة عنها تحت رقم ٥٦٣٦ ل .

وبعد : فهذا كتاب ابن جلجل الأندلسى قدمته للعلماء والباحثين على هذه الصورة من التحقيق والتعليق ، آملا أن أكون قد وفقت فيما قصدت إليه من بذل الجهد ، وشدة العناية ، راجياً التجاوز عما يكون قد تسرب إليه من هنات ، فالكمال لله وحده ، وهو المسئول أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، عليه توكلت ، وهو رب العرش العظيم .

القاهرة فى ٢٠ رمضان المبارك سنة ١٣٧٤
الموافق ١٤ مايو سنة ١٩٥٥

فؤاد سيد
أمين المخطوطات بدار الكتب المصرية